

مُعَاذَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ

فِي أَخْلَاقِ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

(الْمَنْظُومَةُ الْفَاضِلِيَّةُ)

نَظَّمَ
ظَاهِرُهُنَّ عَلِيَّ بْنُ الزَّيْدِ فِي الصَّفْدِيِّ
الْمُلَقَّبُ (فَاضِلُ بَيْتٍ)

١١٧٥ هـ تَقْرِيبًا - ١٢٨٥

تَمَيَّنَ
الدُّكْتُورُ عَبْدُ الرَّسَّامِ أَبُو غَزَّةَ

مَكْتَبَةُ رَوَّاحِ الْإِسْلَامِ

مُعَاذَةُ الدَّارِ

فِي أَخْلَاقِ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

(الْمَنْظُومَةُ الْفَاضِلِيَّةُ)

نَظَّمَ

ظَاهِرُ بْنُ عَلِيٍّ الزَّيْدِيُّ الْقَصْدِيُّ

الْمُلَقَّبُ (فَاضِلُ بَيْتِ)

١١٧٥ هـ تَقْرِيبًا - ١٢٨٥ هـ

تَحْقِيقُ

الدُّكْتُورُ عَبْدُ السَّامِرِ أَبُو غَزَّةَ

مَكْتَبَةُ رَوَّاعِ الْمُبَلِّغَةِ

بجميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

يطلب من:

مكتبة روائع المملكة

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الجامعة - شارع با خشب

ص.ب: ١٩٨٠١ - الرمز البريدي: ٢١٤٤٥

هاتف: ٦٨٨٢٠١٣ - ٦٨٨٢٠١٧ فاكس: ٦٨٨٢٠١٨

Email: RawaeMamlaka@hotmail.com

مقدمة التحقيق

(أ) التعريف بالناظم

(ب) التعريف بالمنظومة

(ج) الأصل المطبوع عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف موجز بالمؤلف وبالكتاب

المؤلف :

هو إمام الحرمين ضياء الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الحويني، ولد في 18 من محرم 419هـ = 1028م في جوين من نواحي نيسابور ، وتوفي في 25 ربيع الآخر 478هـ = 1085م عن 59 سنة.

من شيوخه والده أبو محمد الحويني، وأبو عبد الله الخبازي، وأبو القاسم الاسفرايني الاسكاف، والبيهقي .

ومن تلاميذه أبو حامد الغزالي ، والخوافي، والهراسي . وقد تأثر الغزالي بكتب شيخه ومنهجه واختصر بعض كتب شيخه .

نبغ إمام الحرمين مبكرا فقد اجلسوه وهو في العشرين من عمره للتدريس مكان والده بعد وفاته، وبني له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية ببغداد ليُدرس فيها، وكان يحضر دروسه.

واقام بمكة المكرمة أربع سنين يدرس فيها ويفتي ويؤم الناس بالمسجد الحرام، وأمّ أيضاً بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة ، ولذا لقب (إمام الحرمين) ، ويطلق عليه في كتب الشافعية (الإمام) اختصاراً .

قال عنه الباخرزي في دمية القصر : هو في الفقه : الإمام الشافعي ، وفي الأدب : الاصمعي، وفي الوعظ : الحسن البصري، وأثنى عليه السبكي وغيره ممن ترجموا له (♦) . وإمام الحرمين كتب نفسه:

فله في أصول الدين : العقيدة النظامية سماه باسم الوزير (نظام الملك) و(الشامل) ومختصره له (الكامل) وله في أصول الفقه البرهان والإرشاد والورقات وهو أوجز كتاب في أصول الفقه وقد كثرت شروحه ونظمه بعضهم .

وله في الفقه كتاب " نهاية المطلب في دراية المذهب " أي مذهب الشافعي وقد حققه الدكتور عبد العظيم الديب (رحمه الله) ونشرته وزارة الأوقاف في قطر في عشرين مجلداً . وله في الفقه العام كتاب الغياثي ، وفيما يلي التعريف به .

(♦) من مراجع ترجمة المؤلف : وفيات الأعيان، لابن خلكان 287/1 والطبقات للسبكي 249/3 ومفتاح السعادة 440/1 و 288/2 ، ودراسة فوقية حسين عن إمام الحرمين في سلسلة أعلام العرب، والأعلام للزركلي 160/4 وترجمته في الطبعين لكتابه الغياثي للمحققين لهما .

الكتاب:

هذه (الفصول القواطع) هي قسم من كتاب (الغياثي) واسمه الكامل غياث الأمم في التياث الظلم (وهو كتاب شامل لعدة أقسام كبرى هي : السياسة الشرعية وأصول الفقه، وضوابط الإفتاء، وأحكام الإمامة الكبرى (رئاسة الدولة)، وفي القسم الأخير منه أمهات الأسس الفقهية التي يرجع إليها عند انقراض المجتهدين والمفتيين ، وهي تدل على إحاطته بمقاصد الشريعة وأصولها وفروعها وكلياتها . وقد عبّر عنها بأنها فصول قواطع، ومن ذلك اقتبس اسم هذا القسم الذي تم نشره .

نشر كتاب (الغياثي) مرتين، بمصر بتحقيق د. مصطفى حلمي، ود. فؤاد عبد المنعم، ثم في قطر بتحقيق د. عبد العظيمة الديب ، عن عدد من المخطوطات ، جزئي في الله محققه خير الجزاء .

وبالبحث الآن على نشر القسم الثالث من (الغياثي) هو ما انفرد به إمام الحرمين فيه من استخلاص ما يصلح مرجعاً لمعرفة الأحكام الشرعية في الجملة من خلال ضوابط صاغها، وقواعد أبرزها لم يقتصر فيها على مقولات المذهب الشافعي ، بل رجح واختار بما تقتضيه الظروف التي تصورها من اندثار العلم وفقدان أهلية الاجتهاد للمستجدات أو الإفتاء فيها . وقد كرر إمام الحرمين الأمل في ان تعم المعرفة بهذه الفصول التي فتح عليه بها بعد الغوص في بطون الكتب وشتى المذاهب والاتجاهات الفقهية، لتكون منارات في العصور التي تخلو ممن تتوافر فيه أهلية الاجتهاد بشروطه، ومقدرة الإفتاء بضوابطه، ولذا رأيت إخراجها بطريقة (التحرير) - وليس التحقيق ومقارنة نسخ المخطوطات - وفقد وفي بهذا الغرض الأخير المحققون المشار إليهم جزاهما الله خير الجزاء - حيث ان نشر هذا القسم الذي ختم به إمام الحرمين كتابه واعتبره فريداً لم يسبق إليه - وهو محقّ في ذلك - يحقق رجاء المؤلف وتوقعه في ان تكون هذه الفصول (دستوراً) بالمصطلح الحديث يعول عليها في التعرف إلى حكم المستجدات، فهي بمثابة القواعد العامة للشريعة تطبيقاً، ولو لم تتم صياغتها في عبارات مختصرة جامعة كالقواعد الفقهية المعروفة .

وتجدر الإشارة إلى ما طرحه ابن النفيس على ابن أبي الحزم القرشي المتوفى 687هـ الفقيه الشافعي والطبيب المشهور، بعد مائتي عام من وفاة المؤلف في كتابه الرسالة الكاملية (وتسمى كتاب فاضل بن ناطق) التي نسجها على منوال كتاب حي بن يقظان لابن طفيل، حيث أورد الأسس الشرعية الكبرى التي تخيل الحاجة إليها في مكان لا يتوافر فيه الفقهاء، ولعله اقتبس ذلك من المحاولة الأولى التي قام بها إمام الحرمين . والله أعلم .

(أ) التعريف بالناظم

اسمه، ونسبه :

هو ظاهر^(١) بن علي الزيداني الصفدي الإسلامبولي (فاضل بك) .

والزيداني : نسبة إلى أحد أجداده، أو لقبيلته .

والصفدي : نسبة إلى موطنه الأصلي (صفد) وهي إحدى مدن فلسطين، على

الساحل .

والإسلامبولي : نسبة إلى مدينة (إسلامبول) وهو الاسم القديم لإستانبول،

ومعناه : مدينة الإسلام .

ولقبه (فاضل بك) ^(٢) هو على عادة الأتراك في اختيار لقب ما، قد لا يكون من

أصل الاسم، ويعبرون عن ذلك بأنه (تخلص بلقب كذا) وقد أطلق على المنظومة

اسم (منظومة فاضل بك) و(المنظومة الفاضلية) .

وقد نسب نفسه في أول المنظومة إلى المذهب الشافعي .

وظيفته :

ذكر الناظم – وكذلك جاء على عنوان المنظومة – انه كان (خواجكان الدولة

العثمانية والمقصود أنه علمائها، كما سيأتي :

(١) التسمية باسم (ظاهر) نادرة، فالمألوف ان تكون وصفا (الظاهر فلان) لكنها مألوفة في مدينة (صفد)

بدلالة تسمية حاكمها المتغلب عليها في عهد الدولة العثمانية ظاهر بن عمر بن ابي زيدان المتوفى ١٧٨٢

م وقد استقل عن الدولة وفصل ولاية (صفد) وما يتبعها (عكا وطبرية والناصرية وحيفا والرملة وجبل

نابلس وشرق الأردن وجبل عامل) واعترفت به الدولة العثمانية بعد العجز عن إخضاعه (الأعلام للزركلي

٢٥٤/٢ ط ١) .

(٢) جاء ذكر هذا اللقب على غلاف المنظومة حيث قال الناسخ عن الناظم (المعروف بفاضل بك)

تعرضه للنفي :

أورد في آخر المنظومة أنه نظمها في جزيرة (رودس) - وهي حاليا تابعة لليونان - حيث نفي إليها، ولم يذكر سبب نفيه . ويبدو أنه كان ضحية الوشائيات والتنافس بين الأقران وإيقاع ذوي الصلة بالسلطان بمن يزاحمهم أو يحظى بما لم ينالوه من منصب أو جاه، وقد قال عن نفيه :

لأنني نظمتها مأیوسا وكنت في جزيرة محبوسا
بليت بالنفي وبالإقامة في رودس المشهورة الشامة
الإفراج عنه :

ذكر في خاتمة المنظومة أنه حين أتمها جاءته البشرى بالإفراج عنه، وكان ذلك ليلة المعراج (الإسراء) وفي ذلك يقول :

فحين ختمها بعون الباقي أدركني الرسول بالإطلاق
إصابته بالعمى :

أشار في المنظومة إلى ضعف، أو فقد، بصره حيث استعان لتبييضها ببعض أصحابه :

وكان في تبييضها ابتلائي حيث غدت عيناى في الظلماء
من علة قد أورثتني قلقا وغادرت نهار عيني غسقا
قد أنزلت بناظري ضرا وقاكم الله تعالى الشرا
لأبصر الخطوط في كتاب حتى استعنت البعض من أصحابي
وكان تبييضها في مدينة سافر، ولعلها المدينة التي انتقل إليها عند الإفراج عنه .

عمره ووفاته :

لم يعرف عمره ولا تاريخ وفاته، ولا ولادته، وقد جاوز الأربعين حيث قال في
أواخر المنظومة :

جعلتها لله منى توبة وملت للحق وعدت صوبه

ومن يكن في الأربعين سنه إن لم يتب لله ساء ظنه

وإذا كان قد اتم تبويضها عام ١٢١٥ هـ فتكون ولادته ١١٧٥ هـ ومات قبل ١٢٨٥ هـ

على فرض أنه عمّر أكثر من مائة عام وهي السنة التي تم طبع المنظومة فيها وجاء في
خاتمه الطبع الترحم عليه .

(ب) التعريف بالمنظومة

اسمها :

سمّاها المؤلف (الناظم) بالاسم التالي :

سعادة الدارين في اتباع سيد الكونين

وهو تنويه بمضمونها حيث اشتملت على شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وهديه .

وذكر ناسخها في الطبعة الحجرية انها اشتهرت بـ (منظومة الفاضل) أو (الفاضلية) .

موضوعها :

هو الشمائل والأخلاق النبوية، وموضوعات متعلقة بها وقد وضعت كتب معروفة في الشمائل النبوية منها :

(أ) الشمائل للإمام الترمذي المتوفى ٢٧٩هـ وشروحه لابن حجر الهيتمي، وللقارئ.

(ب) المواهب اللدنية ، للقسطلاني ، المتوفى ٩٢٣هـ وشرحه للزرقاني ، المتوفى ١١٢٢هـ وحاشية على المواهب للشبراملسي المتوفى ١٠٨٧هـ .

كما وضعت كتب عديدة في الأخلاق عامة، وفي أخلاق النبي ﷺ خاصة، منها كتاب أخلاق النبي ﷺ، لأبي بكر محمد عبد الله الوراق المتوفى ٢٤٩هـ، ولابن حبان البستي المتوفى ٣٥٤ .

من المنظومات المشابهة :

أما في مجال النظم فهناك منظومات في السيرة والأخلاق الشمائل النبوية مطبوعة منها :

(أ) الدرر السنية في نظم السيرة النبوية، للحافظ عبد الرحيم العراقي المتوفى ٨٠هـ وهي من بحر الرجز، في ألف بيت، شرحها الحافظ عبد الرؤوف المناوي المتوفى ١٠٣١هـ شرحاً مبسوطاً سماه العجالة السنية على الفية السيرة النبوية، ثم لخصه وسمّاه الفتوحات السبحانية .

وقد طبع شرح المناوي المبسوط عام ١٩٨٠ في الرياض (دار الإفتاء) بتحقيق إسماعيل الأنصاري .

(ب) سيرة سيد ولد آدم، منظومة على قافية التاء، ولذا تسمى (تائية الخطيب) عبد الحميد الخطيب المتوفى ١٣٣٥هـ وهي في ١٦٨ صفحة، طبع المكتبة العصرية، بيروت .

(ج) من إشراقات السيرة النبوية، عزيز اباطة منظومة ١٩١ صفحة ط . مكتبة مصر بالقاهرة .

(د) مولد النور، ملحمة حوارية شعرية، عبد الفتاح رواسى قلعجي في ٢٥٥ صفحة طبعت ١٣٩٠ = ١٩٧١م .

أما المخطوط منها فهناك الكثير مما ورد ذكره في كشف الظنون تحت عنوان (السيرة) وعنوان (الأخلاق) أو (الشمائل) .

خصائص هذه المنظومة :

تتميز هذه المنظومة بأنها نظم سهل للشمائل والأخلاق النبوية ، وقد بلغت أبوابها مائة باب وبلغ عدد أبيات المنظومة ١٩٤٥ بيتاً لا تلحظ في شيء منها التكلف أو الركاكة .

وهناك موضوعات جانبية أتى بها الناظم لمناسبة ما، مثل الباب (٥) في علم القيافة، وقد ضمنه ما يتعلق بالفراسة، ومناسبته هي الانتقال إلى أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وحليته الخلقية لإظهار علاقة أمور الفراسة بالنباهة والذكاء كما أشار إلى ذلك في قوله :

فذكر أعضاء جميع الجسد ليعرف الممدوح منها والردي
هذا لكي يظهر بالدليل أيضاً كمال حلية الرسول
وقد أفصح الناظم بأنه أدرج في المنظومة (٦) أبيات لغيره على سبيل الاقتباس ،
لمناسبتها للباب مثل قوله :

ومن كلام ابن دريد الواضح جعلت هذا البيت في نصائحي
وآفة العقل الهوى، فمن علا على هواه فعله فقد نجا
ونحوه ما نظمه من الأشعار الفارسية مثل قوله في الباب ٨٩ في الحب والمحبوب،
في آخره :

ان لا تعلق بديار قلبا ولا بمحسوب تقاسي حبا
فالبحر والبر كثير بلده وآدم فيها كثير ولده
وقد أورد في افتتاح المنظومة (١٣) بيتاً في التحميد والصلاة على النبي ﷺ
وتسمية نفسه والأمر بالسعي .

ثم أورد (المقدمة) في (٥١) بيتاً .

ثم (الدعاء للسلطان) ١٧ بيتاً .

ثم شرع في الشمائل النبوية .

ويعتني الناظم بذكر التعاريف معقّباً بذكر شمائله صلى الله عليه وسلم في موضوع ما، وبعد ذلك يشير للآيات وللأحاديث وللحكم في الموضوع . ويستشهد بأقوال أفلاطون وغيره .

منظومات في السيرة والشمائل النبوية :

١ / الدرر السنية في نظم السيرة النبوية، للحافظ عبد الرحيم العراقي المتوفى ٨٠هـ وهي من بحر الرجز، في ألف بيت، شرحها الحافظ عبد الرؤوف المناوي المتوفى ١٠٣١هـ شرحاً مبسوطاً سماه العجالة السنية على الفية السير النبوية، ثم لخصه وسمّاه الفتوحات السبحانية .
 طبع شرح المناوي المبسوط عام ١٩٨٠ في الرياض (دار الإفتاء) بتحقيق إسماعيل الأنصاري .

٢ / سيرة سيد ولد آدم، منظومة على قافية التاء، ولذا تسمى (تائية الخطيب) عبد الحميد الخطيب المتوفى ١٣٣٥هـ وهي في ١٦٨ صفحة، طبع المكتبة العصرية، بيروت .

٣ / من إشراقات السيرة النبوية، عزيز اباطة منظومة ١٩١ صفحة ط . مكتبة مصر بالقاهرة .

٤ / مولد النور، ملحمة حوارية شعرية، عبد الفتاح رواسي قلعجي في ٢٥٥ صفحة طبعت ١٣٩٠ = ١٩٧١م

(ج) الأصل المطبوع عنه

لم يتم العثور على المخطوطة الأصلية، ولكن اعتمدت على الطبعة الحجرية للمنظومة، كتبها خطاط اسمه مصطفى حريري وفرغ من تحريرها غرة جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٥ هـ .

وفيما يلي الصفحة العنوانية، والصفحتان الأولى والأخيرة التي فيها أيضا خاتمة الطبع وبيانات الناسخ .





سَيِّدُ الدَّارَيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من بعد حمد الله والصلوة
ثم الرضى عن له وصحبه
قد ابتدأت بلسان قائل
ابن علي الظاهر الزيداني
وهو الفقير الصفدي وطناً
عن خوجكان الدولة عليه
يا أيها الطالب للسلامة
ليس لي الرضى حدة
ان لم يساعذك إلا له الحى
لكننا بالنظر قد امرت
وقد أتى تصديق هذا المدعو
ومارة قال لنا وسادعوا
حق علينا السعى والتدقيق

على النبي صاحب الآيات
وعن محبيهم وعن محبة
انا الشهيد في الورى بالفاضل
الحنفي النفسبندى الجاني
لكننا لا سلا سوي قطناً
انقذها الله عن السكينة
في هذه الدنيا وفي القيامة
لكن يتوفى له وحده
اول ما يجنى عليك السعى
نسعى الى الخيرات ما عسرنا
في ليس للانسان الا ما سعى
وناره قال لنا وسادعوا
السعى منا وليا التوفيق

<p>من علة قدا ورشتي قلقت مذا نزلت بنا فري ضر لا أبصر الخطوط في الكتاب بغيرها في ما قرأ المصحف وكان قد تم لنا نسخها وختمها في ليلة المعراج فنبأ الله الذي منه الشفا حاشا بان افتقد نور الباعث صلى عليه الله كل آت عليه منا افضل السلام</p>	<p>وفادرت نهار عيني في سقا وفأكر الله تعالى الشرا حتى استعنت البعض من ونظمها في هرودس المرحه في سنة واضحة تاريخها بشارة النبوة المتأخر ان يحل عينا وثور المصطفى وخدمتي مدح شفيق لا فر ماتاب واستغفر كل جاني واله وصحبه الكرام</p>
---	---

فقد طبع ذلك المظنة بعدية لنظير في بابها شتمت خطوة
عفا فلي يذبحها لندح من الزاد اب حسنة باوقم الزخلة
أكلها ليدرس لغيرها اكل ارجح عليه وكيف لو قد قسني
بذره ها من ليلته انك لعل خلق عظيم فحده
مؤنبرها وناظرها والمستعجبين امين وكان الفري
من حرمها في عزم حماد الثاني من هجره فاذل
عليك كشاف وذل لك من سيرة شمس ثابته
وانبر والف وصلى الله على من
حقا الموصف وعلى الله
ومحبها ومحبته
صلى الله عليه وسلم
حلت كشمه بها
بقدم المصطفى
صلى الله عليه وسلم
عنه

[البداية]

مِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ
 عَلَى النَّبِيِّ صَاحِبِ الْآيَاتِ
 ثُمَّ الرِّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ
 وَعَنْ مُحِبِّيهِمْ وَعَنْ مُحِبِّهِ
 قَدْ ابْتَدَأْتُ بِلِسَانٍ قَائِلٍ:
 أَنَا الشَّهِيرُ فِي الْوَرَى بِـ "الْفَاضِلِ"
 ابْنِ عَلِيِّ الظَّاهِرِ الزَّيْدَانِي
 الْحَنْفِيِّ النَّقْشَبَنْدِيِّ الْجَانِي
 وَهُوَ الْفَقِيرُ الصَّفَدِيُّ وَطْنَا
 لَكُنْهُ الْإِسْلَامْبُولِي قَطْنَا
 عَنْ خَوْجَكَانَ^(١) الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ^(٢)
 أَنْقَذَهَا اللَّهُ عَنْ الْبَلِيَّةِ
 يَا أَيُّهَا الطَّالِبُ لِلسَّلَامَةِ
 فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْقِيَامَةِ

(١) الخوجكان : أفادني د. إسماعيل الخالدي بأن لهذه الكلمة التركية معاني متعددة، منها : جمع خوجة (أي

عالم)، رتبة عسكرية قديماً، وأنها تكتب (خواجكان) .

(٢) المراد بالدولة العلية : الدولة العثمانية .

ليس بسعي المرء يلقي جَدُّه^(١)
 لكن بتوفيق الإله وحده
 إن لم يساعذك الإله الحيُّ
 أول ما يجني عليك السعيُّ
 لكننا بالصبر قد أُمِرنا
 نسعى إلى الخيرات ما عُمِرنا
 وقد أتى تصديق هذا المدعى
 في (ليس للإنسان إلا ما سعى)^(٢)
 وتارة قال لنا : (وسارعوا)^(٣)
 وتارة أخرى يقول (سابقوا)^(٤)
 حق علينا السعي والتدقيق
 السعي منا وبه^(٥) التوفيق

* * *

(١) جَدُّه (بفتح الجيم) : حظه، ومطلوبه

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ سورة النجم ٣٩

(٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

سورة آل عمران ١٣٣

(٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ سورة الحديد ٢١ وكان الشطر

الثاني هكذا (وتارة قال لنا وسابقوا) وهذا مغاير لبداية الآية بدون واو .

(٥) في الأصل « وله » .

المقدمة

اعلم بأنّ لـانجاة تـرتجى
 لأحد ولا ملاذ يُلتجى
 ولا هداية ولا سلامة
 إلا اتباعُ صاحب الغمامة^(١)
 وفي كلا الدارين فالسعادة
 في السُّنة الصادقة الإفادة
 وفي الأنام الفرقة النجية
 من اقتدى بسيد البرية
 نبينا نورِ الإله السارى
 محمدٍ صلّى عليه الباري
 واعلم بأنّ العقل للإنسان
 كصفة العقال للحيوان
 وأنا لا كبهائم الفلا
 لما خلقنا ما تُركنا هملا
 قد جعل العقل لنا مولانا
 مؤدّباً يأمرنا ينهانا

(١) إشارة إلى النبي ﷺ، لتظليل الغمام له .

وهادياً الى الفتى في سيره
 مميزاً لشره وخيره
 وتابعاً^(١) أيضاً على الإطلاق
 للشرع، والكلُّ من الأخلاق
 وحجة الله على عباده
 والكل قد يفسد من فساد
 والعقل عند كل ذي العقول
 قد تم في سيدنا الرسول
 فكل ما وافقه فعقلٌ
 وكل ما خالفه فجهلٌ
 وكيف لا هذا ونورُ العقلِ
 مُكتسب من شرعه^(٢) في الأصلِ
 وهدي هذا الكون^(٣) من آثاره
 والعقل قد أضاء من أنواره
 وقد أتى بالخلق العظيم
 شهادةً من ربه الكريم^(٤)

(١) في الأصل: «وقيماً» وهو يوهم كون العقل قيماً على الشرع، والمقصود عكسه .

(٢) في الأصل «نوره» والمقصود شرعه لأنه هو النور الذي جاء به .

(٣) في الأصل « وكل ما في الكون » !

(٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ سورة القلم ٤

فرأُسُ كلِّ العقلِ والكمالِ
 تقليدُك الرسول في الأعمالِ
 فكل ما عنه أتى في النقلِ
 فاعلم بأنه كمال العقلِ
 أرسله الله إلى الآفاقِ
 متمماً مكارم الأخلاق^(١)
 وقد شذت (طيبة) منه طيباً
 وقيل في (يثرب) : لا تثريباً
 فاصرف إلى منهاجه الإرادة
 يرشدك الله إلى السعادة
 وهاك مني هذه المنظومة
 بالسُّنةِ العليا أتت موسومة
 سميتها «سعادة الدارين»
 فيها اتباع سيد الكونين
 موضوعها في البحث عن كماله
 وقوله، وفعله، وحاله

(١) إشارة إلى حديث : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » رواه مالك في الموطأ بلاغاً، ورواه أحمد في مسنده
 بسند صحيح بلفظ « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » ورواه الحاكم والبيهقي بلفظ « بعثت لأتمم صالح
 الأخلاق » الفتح الكبير للنبهاني، والمقاصد الحسنة للسخاوي ٢١١ .

ميزانها العقل الشريف النبوي
 والخلق المبارك المصطفوي
 لأنه لا عقل إلا عقله
 لا مقتدى للناس إلا فعله
 والكل من سنته القويمة
 مطابق للحكمة القديمة
 سنته شريعة^(١) لا نهر
 ومنهل الحكمة منها قطر
 من أجل هذا قد صرّفتُ الهمة
 لذكر شيءٍ من كلام الحكمة
 فكل ما في السُّنَّةِ العليَّةِ
 ذيلتهُ بحكمةٍ عقلية
 ليظهر التطبيق بين الحكمةِ
 وبين ما يقول خير الأمةِ
 كذلك القيافة^(٢) المجربّة
 ذكرت منها نبذةً مُنتخبة

(١) المراد بالشرعية هنا : « مشرعة الماء وهو المورد الذي يشرب منه (الصحاح للجوهري ١٢٣/٣) .

(٢) المراد بالقيافة هنا : الفراسة من خلال التأمل في شكل الأعضاء . والقيافة : العلم بالأمور البدنية الظاهرة

هيئة وشكلا على سبيل الدلالة والاستدلال بها على ما خفى من السجاي الباطنة والاخلاق الكامنة (عزائم

السياسة في علم الفراسة، عبد القادر الحسني الأدهمي طبع الحسينية المصرية ١٣٢٥ هـ صفحة ٣) .

حتى ترى^(١) أقوالها المؤسسة
 شاهدة للحلية المقدسة^(٢)
 فأصبحت أعجوبة الحوادث
 في مائة جاءت من المباحث
 خلاصة المعقول والمنقول
 نتيجة الفروع والأصول
 غايتها التأديب للطبيعة
 بما يقول صاحب الشريعة
 مما نهى عنه النبي أو أمر
 والبحث في تفصيله خير وشر
 لا أذكر الحديث بالعبارة
 بل إنما معناه بالإشارة
 ترجمتها من منطق النبوة
 ثم الكبار من ذوي الفتوة
 ثم من الفلسفة القديمة
 ومن قريحة لنا سقيمة

(١) في الأصل : حتى تكن، والتصويب لمراعاة الوزن مع عدم وجود الجزم الذي تحذف معه النون .
 (٢) المقصود بالحلية المقدسة : وصف النبي صلى الله عليه وسلم وهيئته البدنية .

والكل من أبياتها العجيبة
 من نظمي إلا سبعة غريبة
 ذكرتها مستحسناً مآلها
 وبعضها أذكر من قد قالها
 فيا لها منظومة منيفة
 جامعة للسنة الشريفة
 تركيبها ووضعها غريب
 وقبل لم يظفر بها أديب
 جعلتها سلسلة الألفاظ
 تصير سهلة^(١) على الحفاظ
 نظمها لأجل نفسي لا سدى
 ومن يشأ حي على فعل الهدى
 وما تركت سنة محصنة
 حتى أخذتها هنا ملخصة
 وما تركت حكمة مستلزمة
 حتى جعلتها هنا مترجمة

(١) في الأصل: «حتى تكن سهلاً» وهذا غير مستقيم في النحو وبالتصويت روعي أيضاً الوزن.

عقليةً شرعيةً تُنادي

بالرشد للمعاشِ والمعادِ

فاعمل بها ناهيةً وأمرة

تُنْجيك في الدنيا، وتُثَمِّم الآخرة

ونسأل الله عسى يهدينا^(١)

لما به النجاة أجمعينا

* * *

(١) في الأصل: « أن يهدينا » وفتح الدال يختلف به روي القافية .

(١)

بحث

في الدعاء للسلطان

إنَّ إمام دولة الإسلام
يأمر بالدعاء للإمام
وجاء في الدعاء للسلطان
وسيلة القبول والغفران
أول ما يُرسم في الصحيفة
فريضة الدعاء للخليفة
خليفة الرسول ظل الله
وخير أمرٍ وخيرُ ناهي
ومهجة العالم روح الدهر
ومقلة العصر وليّ الأمر
مؤيد الدولة والشريعة
بالهمة الشاخصة الرفيعة
خلاصة السلالة العلية^(١)
ومظهر المواهب الجليلة

(١) يقصد سلالة بني عثمان سلاطين الدولة العثمانية .

أعنى بذاك الكوكب النوراني
شعاع شمس الفلك العثماني
سلطان (سليم) الملك الهمام
ومن به تشرف المقام
أعلى الملوك شوكة وقدر
أسناهم كرامة وفخرا
يا ربنا بالمصطفى وعترته
ومن شرعنا في بيان سنته
أيّد لنا الخاقان^(١) بالعناية
وانصره واجعله سعيد الراية
أيّد جيوشه وإعداداته
وانصر على أعدائه راياته
ومهد الأرض له تمهيدا
واجعل ملوكها له عبيدا
ووال يامولاي من والاه
ياربنا وعاد من عاداه

(١) الخاقان : المقصود به (السلطان) واللفظة أعجمية .

وانصر جيوش المسلمين نصرا
واقهر جنود الكافرين قهرا
دام وجوده وطال عمره
ودام ملكه وعَزَّ نصره

* * *

(٢)

بحث

في التشبه بهدى الرسول^(١) صلى الله عليه وسلم

يا طالباً للحق من جهاته
مقتبساً للنور من مشكاته
إنَّ النبي منهلُ الإحسانِ
ومشرقُ الأنوار والعرفانِ
سعادة الدارين في اتباعه
وبهجة الكونين في شعاعه
ومظهرُ الفرقان عين الجود
وباعثُ التوحيد في الوجود
ومَن عليه أنزل الناموسُ
وهو الذي قال له القدُّوسُ :
لولاك هذا الفلك ما خلقتُ
وأنت نورى منك قد اشرق^(٢)

(١) في الأصل : بروحانية الرسول . والأولى ما أثبت فهو منسجم مع قوله تعالى في حق الأنبياء ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ سورة الأنعام / ٩٠ وقوله تعالى ﴿ وانك لتهدى إلى صراط المستقيم ﴾ سورة النشورى / ٥٢ .

(٢) يشير إلى حديث « لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك » قال الصبغاني : موضوع .
واتلوا من كلام عيسى في المصيفة ٨٢ لا لبنا ربه الله

فهو حبيب الله في الآيات
 معلّم الأسماء والصفات
 لا شرعة^(١) في الكون إلا عنه
 لا منهج للناس إلا منه
 وكل ما قد كان من ولي
 فصادر عن بابهِ العليّ
 وكل ما لله من طريقة
 مأخوذة منه على الحقيقة
 مغترف من رشحات بحرهِ
 مختطف من لمعات بدرهِ
 وشرط من شاء له اتباعاً
 أو اقتراباً^(٢) منه وانتفاعاً :
 ١ - الاقتداء^(٣) مخلصاً في نيته
 مستحضراً للنور من هدايته
 مستحضراً هداة^(٤) كل ساعة
 في خلوةٍ إن كان أو جماعة

(١) في الأصل : لا مدد . وفي الشطر الثاني : لا نعمة في الناس إلا منه !

(٢) في الأصل : أو مدداً .

(٣) في الأصل : ان يتوجه . وفي آخر البيت كانت : روحانيته .

(٤) في الأصل : إليه !

وصفة استحضار نبع^(١) الذكر

أن تتراعى رجلا في الفكر

على صفات الحلية المطهرة

ثيابه وذاته منورة

فَإِنْ حُرِّمَتْ ذَاكَ فَارْسِمِ اسْمَهُ

بالنور في الخيال وانظر رسمه

أو لم يكن فالروضة المنورة^(٢)

في القلب ان يجعلها مصورة

وكلما صليت كن مشيراً

لنحوها موقرا توقيرا

قالوا: وهذا غرض الأوائل

من رسمها في أول الدلائل (٣)

وكلما يُذكر فخر الأنبياء

فَقُمْ مَعْظَاً لَهُ مَصْلِيَا

۲- وَأَنْ تَرَى^(۴) مُقْتَدِيًا بِشْرَعِه

وما انطوى في أصله وفرعه

هذه عقيدة
صوفية باطلة الاستعداد
وليس فيها شيء
وقد أوردوها في كتابها
وأنفقوا الله في كتابه
الهدية الهادية
في فروعها وكم
فراجه ثم لا يتركها
والقائد من كتابه
في مذهبهم كما ينبغي
بما يشاء من الله
على ما يشاء من الله
من غير أن يكون
معه شيء من ذلك
فلا شك

(١) في الأصل : ووصف استحضاره في الذكر .

(٢) إشارة إلى (الروضة) في المسجد النبوي .

(٣) يقصد كتاب « دلائل الخيرات » للجزولي، فقد اشتملت طبعاته على صورة خطية للمسجد الحرام وصورة خطية للمسجد النبوي .

(٤) في الأصل : وأن تكن وصوابه : وأن تكون ، لكنه يخل بالوزن .

وصفة استحضار نبع^(١) الذكر
 أن تترأى رجلا في الفكر
 على صفات الحلية المطهرة
 ثيابه وذاته منورة
 فإن حُرمتَ ذاك فارسم اسمه
 بالنور في الخيال وانظر رسمه
 أو لم يكن فالروضة المنورة^(٢)
 في القلب ان يجعلها مصورة
 وكلما صليت كن مشيرا
 لنحوها موقرا توقيرا
 قالوا: وهذا غرض الأوائل
 من رسمها في أول الدلائل^(٣)
 وكلما يُذكر فخر الأنبياء
 فقمُ معظماً له مصلياً
 ٢- وأن تُرى^(٤) مقتدياً بشرعه
 وما انطوى في أصله وفرعه

(١) في الأصل : ووصف استحضاره في الذكر .

(٢) إشارة إلى (الروضة) في المسجد النبوي .

(٣) يقصد كتاب « دلائل الخيرات » للجزولي ، فقد اشتملت طبعاته على صورة خطية للمسجد الحرام وصورة

خطية للمسجد النبوي .

(٤) في الأصل : وأن تكن وصوابه : وأن تكون ، لكنه يخل بالوزن .

٣- مهتدياً بالخلق^{٦٦} السنّي

مثل ما جاء عن النبيّ

في أكله، وشربه، وسنته،

وقوله، وفعله، وحالته

وعاملاً بهذه الآثار

في السر والخلوة والجهار

٤- ومكثراً أيضاً من الصلاة

عليه في العشي والغداة

٥- مُعظماً لقوله، وسنته،

وآله، وصحبه، وأمه

بحسب الطاقة والإمكان

والحال والعادة والزمان

قالوا: ومن دام على هذي الصفة

يصير لا بد من أهل المعرفة

هدي الرسول جاء بالعناية^(١)

في هذه الدنيا وفي النهاية

قالوا : ومن لم يكُ يلقي مرشداً

وكان في سلوكه مردداً

(١) في الأصل : « يدركه الرسول بالعناية » والتعديل واضح السبب فالتمسك بسنته ﷺ يصلح حال الإنسان في الدنيا والآخرة .

فكثرة الصلاة والتقليد

تكفى عن الأشياخ للمريد

قد قلت ما يليق بالخواص

مع أنني المجرم ذو المعاصي

من لا تليق نفسه الدنية

ليتني للحضرة السنية

نعم يليق إن يكن أمثالي

كلباً على باب الرسول العالي

قلت: كفى فخراً لكل واع

فالكلب محسوب من الأتباع

كفى لروحي شرفاً وجسمى —

إذا غدا (كلب النبي) اسمي

لا أرتضي كون الهلال طوقي

كلا، ولا الشمس غطاءً فوقي

حاشا بأن يهلك كلب المصطفى

وكلب أهل الكهف حقا قد نجا

صلى عليه الله بالأصالة

ما طلع الهلال والغزاة^(١)

(١) الغزاة : اسم للشمس .

هذا ؟
غلو لا ينبغي
ولا ينبغي له
أن يعينه نفسه
ونيلها إلا الله
اللهم ارزقنا
اتباعك من نبلاء
صالحين عظماء
آمين

(٣)

بحث

في فضل الحلية الشريفة^(١)

قد أشرقت ديباجة الصحيفة
 منيرة بالحلية الشريفة
 حلية من قد خُصَّ بالبهاء
 ووجهه كالشمس في الضياء
 وهو الذي تُظله الغمامة
 ووصفه كان عظيم الهامة
 وربعة في قده الجميل
 وليس بالقصير والطويل
 لكنه للطول كان أقربا
 أعلى الأنام قاماً وأنسبا
 من وصف حُسن سيد الكونين
 جاء : وكان أدعج^(٢) العينين

(٢) المقصود هيئة النبي ﷺ وبعض شمائله . وقد جاء ذلك الوصف من صغار الصحابة، لأن كبارهم كانوا يتهيبون التحديق في نظرهم إليه عليه الصلاة والسلام وينظر كتاب الشمائل، للترمذي وغيره من كتب السيرة .

(٢) الدعج : شدة سواد العينين، مع سعتها (الصحاح ١/ ٣١٤) .

وصفها المنيفُ هو أدعجُ
وفيها من حُمْرَةِ تمُّوجِ
ووجههُ البشِيرُ كان أنورا
ولونه المنير كان أزهرا
فيا لنورِ خدِّهِ الأسيلِ
وياالحسن طرفه الكحيلِ
كان أزجَّ^(١) الحاجبين شكلا
أبلج^(٢) ما بينهما وأجلى
وجاء : كان واسعَ الجبين
وأفلج^(٣) الأسنان باليقين
يفترُّ بالحُسْن لدى التسم
عن مثل حبات الغمام في الفم
كان رقيق الشفتين حُسنا
وأنفه الشريفُ كان أقنى^(٤)
وشعرهُ لا جعد ولا قطط^(٥)
بل إنه قد كان - قالوا - في الوسط

(١) أزج من الزجج، وهو : دقة في الحاجبين وطول (الصحاح ٣١٩/١) .

(٢) ابلج من البلجة، وهي : نقاوة ما بين الحاجبين، أي ليسا مقرونين (الصحاح ٣٠٠/١) .

(٣) أفلج وهو : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات من الأسنان (الصحاح ٣٣٥/١) .

(٤) أقنى وهو : احديداب في الأنف (الصحاح ٢٤٦٩/٦) .

(٥) قطط وهو شديد الجعودة (الصحاح ١١٥٤/٣) .

وأحسنَ الأنامَ كانَ عنقا
لا قصرَ لا طُولَ فيه حقا
يبدو بوجه نيرٍ كالبدر
وواسع الظهر عريض الصدر
وخاتم النبوة^(١) النزيه
قد كان بين الكتفين فيه
والبعض قال فيه قولاً أنساباً:
للمنكب الأيمن كان أقرباً
والشامة السوداء فيه ساطعة
تضربُ للصفرة وهي فاقعة
والشعرات حولها منيرة
على التوالي نبتها مديرة
تشبيها كعُرف للفرس
كذا أتى في وصفها المقدس
ومنكباه أشعرين كانا
بعيد ما بينهما مكانا

(١) ورد ذكر خاتم النبوة في أحاديث عديدة منها حديث سلمان عند إسلامه ونظره إليه حيث كان من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة .

وفيهما قد كانت العظامُ
 عظيمة رؤوسها ضخامُ
 وكان لحم بطنه لا يبدو
 وليس بعض فوق بعض يغدو
 مثل القضيب شعره من لَبَّتِه^(١)
 متصل بينهما لسرته
 وكان ليس غيره من شعر
 أصلاً على البطن ولا في الصدرِ
 معتدل الخلقة كان في السَّمَنِ
 كان له ثلاثة من العُكَنِ^(٢)
 واحدة تُسْتَرُ بالإزار
 والاثنان مظهر^(٣) الأنوار
 بدنه في آخر من الزمن
 ما اختل لكن جسمه من السَّمَنِ
 كأنه في خلقه القديمِ
 واللحم في تماسكٍ قويمِ

(١) اللبة : موضع القلادة من الصدر (الصحاح ١/٢١٧)

(٢) العُكَن : طيات البطن من السَّمَنِ .

(٣) في الأصل « واثنانها » بإثبات النون في المثني مع كونه مضافاً كما أن القاعدة أن يقال : « اثنان » في تعداد المؤنث .

عبل^(١) الذراعين وعبل العضد
 كان طويلَ الزند مبسوط اليد
 وسائل الأطراف رحب الراحة
 جميعه في غاية الملاحه
 كان له أصابع حسان
 كأنها^(٢) من فضة قضبان
 وعن علي المرتضى رويانا :
 يخطو تكفوؤاً ويمشى هونا
 كأنها ينحط - كان - من صَبَب
 وما به من كسلٍ ولا نصب
 وليس يلوي عنقه إذا التفت
 بل بجميع جسمه^(٣) كما ثبت
 يقول من ينعث: كان شكله
 والله ما رأيت قط مثله

(١) عبل الذراعين : أي ضخمهما (الصحاح ١٧٥٦/٥).

(٢) في الأصل : « تخالها » وهي تفتضي نصب (قضبان) مع أن نهاية الشطر الأول مرفوع .

(٣) في الأصل : « بل بالجميع يلتفت » بتسكين التاء من الفعل المضارع المستوجب الرفع للتجرد عن الناصب والجازم .

وكل من جالسهُ يُجْبِه

خير الورى، صلى عليه ربهُ

صلى عليه الله بالتـوالي

على مدى الأيام والليالي

* * *

(٤)

بحث

في علم القيافة على رأي العلماء والحكماء^(١)

يا أيها المصغي بقلبٍ صاحٍ
لوصفنا لسيد الملاح
يلزم أن نذكر باللطافة
مُختصراً من زبدة القيافة
تجمع في أبياتها المرتبة
خلاصة القيافة المجربة
نذكر أعضاء جميع الجسد
ليُعرف المدوح منها والردي
هذا لكي يظهر بالدليل
أيضاً كمال حلية الرسول
وإنَّ وصف الحلية المشرفة
جاء كطبّق قول أهل الفلسفة

(١) أتى بهذا البحث، لمراعاته فيما أورده قبله من أوصاف النبي ﷺ لإظهار علاقة ذلك بالنباهة والذكاء كما أشار لذلك في البيت الخامس من هذا البحث والقيافة المشروعة هي الاستدلال بها على النسب بصفتها قرينة وليس في الحكم على الناس ! .

ثم على قول الإمام الرازي
والشافعيّ الفاضل الممتاز

الرأس :

(الرأس) قالوا أصدقُ الأعضاء

دلالة لأكثر الأشياء

لأنه الجامع للحواس

وهو لهذا العلم كالأساس

أحسنها المعتدلُ التقويم

وليس بالصغير والعظيم

وأجمعوا بأن عظم الهامة

إلى شجاعة الفتى علامة

وشرطه في عظمه المحمود

تناسبٌ لبنية الوجود

ما كان فيه من نتوء ظاهر

في مَقْدَمٍ أو أوسطٍ أو آخر

دلالة للعقل والفلاح

لأنها مواطنُ الأرواح

تصفُّط الرأس كمثل الكرسي
 (قالوا) دلالةٌ لخبث النفس
 وإن يكن رأسٌ كبيراً حجماً
 مشابهاً رأسَ الحمار عظمًا
 دليلٌ سوء الفكر والبلادة
 مع اضطراب الرأي والإرادة
 الحَدَب :

وكل (أحدب) دليلٌ قطعي
 لخبث نيةٍ وخبث طبع
 القَصْر :

كل (قصير) القَدُّ فهو فتنة
 لكنه أيضاً محل الفطنة
 وكل ما للأرض (قالوا) يقرب
 يقربُ شَرُّه كذاك جرَّبوا
 الطول :

ذو (الطول) لا مكرَ به لا عوجاً
 إلا إذا كان طويلاً كوسجاً^(١)

(١) الكوسج : الذي لا شعر على عارضيه (المعجم الوسيط / كسج) ٧٩٢/٢

يوصف بالحمق طويلاً القامة
 لكن سليم الصدر من لامة
 وقد أتى في وصف هذي الأمة
 أوسطها^(١) للعلم ثم الحكمة
 أقصرها لفطنة وكرب
 أطولها لهيبة وحرب
 العين :

و(العين) عنوانٌ الى القلوب
 تُظهر ما فيها من العيوب
 وأفضلُ العيون للنُّقَاد
 نقيّةُ البياضِ والسَّوَادِ
 بَرَاقَةٌ لَوْزِيَّةٌ في الوصف
 فيها رطوبةٌ بغير ضعف
 أنظارها وهَّابَةٌ نَهَابَةٌ^(٢)
 تخالط السرور بالمهابة

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ سورة البقرة الآية / ١٤٣ .

(٢) وهابة : تهب البهجة والسرور، نهابة : تشد الناظر إليها .

في حجمها وسطة مقبولة
 شهلاء أو خفيفة الشهولة^(١)
 قالوا : وبعض أعين شريفة
 تبصرها ضحاكة لطيفة
 أنظارها تشبه كلَّ آن،
 من غير قصد، نظر الصبيان
 علامة الأفراح والتملق
 وطول عمر ثم حُسن الخلق
 والأعين الردية المحققة
 سريعة الأجفان ثم الحدقة
 جولة صغيرة مرّدة
 تخالها مثل عيون القردة
 دليّة الدهاء ثم المكر
 وخبث نية وسوء فكر
 والمقلّة العظماء بالزيادة
 صاحبها كسلان ذو بلادة

(١) الشهل : ان يشوب سواد العين زرقة (الصحاح ٥/ ١٧٤٣).

والمقلّة الغوراء ثم الكامنة
 دلت على الدّها وخُبثِ الباطنة
 على الخصوص إن تكن خفشاء^(١)
 في لونها زرقاء أو خضراء
 الشافعي قال: استعيذوا ابتعدوا
 منها كإبليس اللعين والعدو
 الحاجب :

والعَرَضُ في (الحاجب) ثم الطولُ
 ثم كثيرُ الشعر الموصولُ
 دليلُ سوءِ الفهم والحماقة
 وعكسه المحمودُ في الحذاقة
 والحاجبُ العريض والقصير
 كالذال رسماً فهو الشَّرِيرُ
 أو رَكِبَ الحاجبُ فوق الجفنِ
 دلّ على شجاعة وذهنٍ

(١) الخفشاء : الخفش، وهو : صغر في العين وضعف في البصر خلقة (الصحاح ٣/ ١٠٠٥) .

الجبين :

كل (جبين) بارزٍ معتدلٍ
فهو دليل العقل عند الكُمَّلِ
وأملسُ الجبين ذو بلاهة
وقلّ أن يُلفى به نباهة
والعُظمُ فيه قد يشير للبلّاهة
وعرضُه لفقدِ عقلٍ ووَلَه
وإن يكنْ مدوّراً صغيراً
كان إلى جهالةٍ مشيراً

الأنف :

وكل (أنف) أفطسٍ الأركان
وواسعٍ المنخر كالسودانِ
دلالةٌ للجهلِ ثم الغضبِ
وقوةُ النفس^(١) وتركِ الأدبِ
والاستوا ورقّةٌ في الأرنبه
ثم ارتفاعُ الأنفِ نعمَ الموهبة

(١) المقصود بقوة النفس هنا : الجرأة غير المحمودة . وقد استخدمها الناظم عند الكلام عن الكتف (صفحة ٣٣)
بالمعنى المحمود الذي هو الأصل

دلائلٌ للعقلِ ثم النفعِ
 وجودةُ الفهمِ وحسنِ الطبعِ
 والغُلْظُ في الأنوفِ باعوجاجٍ^(١)
 دلالةٌ لِسَاءَةِ المزاجِ
 ثم اجتماعِ الشحمِ فوق الأرنبةِ
 مذمومةٌ مع انتفاخِ القصبةِ
 تَقْنَطُرُ الأنفُ كنصفِ دائرةٍ
 دلالةٌ على الحَسودِ ظاهرةٍ

الأذن :

و(الأذن) الكبيرةُ المقدارِ
 دلالةٌ للطولِ في الأعمارِ
 لكنها لشبهِ البهائمِ^(٢)
 للجهلِ جاءت أصدقُ العلامِ
 وجرمها ان كان بالصغيرِ
 إشارةٌ للعُمرِ القصيرِ

(١) في الأصل « والغُلْظُ في الأنفِ باعوجاجٍ » بهمزة قطع لكلمة (إعوجاج) مع أنها همزة وصل .

(٢) في الأصل (لكنها للشبهِ بالبهائم) بتسكين آخر كلمة (الشبه) ولا موجب للتسكين .

وكل مستديرة دقيقة
وهي لخلف الرأس كالملصوقة
دلالة إلى الذكا والعقل
وخفة النفس وحسن الأصل
الفم :

ثم اتساع (الفم) نعمت الصفة
لكن إذا كان رقيقا للشفة
وذم في الأفهام كل غائر
أيضاً وكل بارز وظاهر
الأسنان :

وأفلج (الأسنان) في الرجال
جيد أخلاق بلا إشكال
والعظم والقوة في الأسنان
دليل طول العمر في الإنسان
الشفة :

و(الشفة) الرقيقة الحمراء
مع صغر الفم هي الحسناء

وهي دلالة حُسن العقل
وحسن أخلاقٍ وحُسن فعلٍ
وغلَظ الشِّفاه في الإنسان
دلالة للحمق كالشُّودانِ
لاسيَّما السُّفلى إذا تدلَّت
فَهِيَ على فقد العقول دلَّت
تَقَدُّمُ العليا على السُّفلاء
يُمدح لا السُّفلى على العُلَّاء^(١)

اللحية:

و(اللحية) العظيمة الأركانِ
دلَّت على بلادة الإنسانِ
وكل كوسجٍ فذو كياسة
وذو فطنة وذو فراسة

الشعر :

و(الشعر) فالأجودُ منه الأوسطُ
في قِلَّة وكثرة لا المُفْرِطُ

(١) السفلاء : السفلى، والعُلَّاء : العليا، ومدَّ المقصود مما يسوغ في الشعر .

وفي خشونة وفي جعودة
 فهذه صفاته المحموده
 هذا دليلُ العقل والذكاءِ
 وجودة التدبير والآراءِ
 وكل شعرٍ شاخصٍ وقائمٍ
 مَـشابهٍ للشعرِ في البهائمِ
 دليل سوء الفهم والبلادة
 وحَسْبُكَ السودان للشهادة
 وأسودُ الشعر دليل المنفعة
 والأحمرُ الناريُّ فيه المشنعة
 وهو دليلٌ واضح كالفلقِ
 لقسوة القلب وسوء الخلقِ
 وحسبنا أن الرسول قد ذكر
 لا خير في أشقرٍ مِنْ بعدِ عُمر^(١)

قالوا : وإن أشقر الشعرِ

علامةٌ للضيغم^(٢) الجسورِ

هو كشف الخفا ٢-٣٦٢/٣٦٤

عيسى : لا خير في أشقر بعد عمر .

قال العبدون : هذا يجرب على

السنّة الناس ولم أقف على

أصل . ولعله موضوع فإن عمر

رضي الله تعالى عنه لم يكن أشقر فراجعه

(١) في الأصل «قدامر» وهذه المقولة ..

(٢) الضيغم الأسد ، ويقصد به الرجل الشجاع .

أيضاً على الهمة، والحرية
 دليلاً، لا كُلُّها رديّة
 والشرط للمذموم في الدلالة
 أن لا يكاد ينظر الغزاة^(١)
 وأن يكون أزرق العينين
 وأشقر الشعر على الجفنين
 الوجه :

قالوا: وعرضُ (الوجه) فوق العادة
 دَلٌّ على الخمول والبلادة
 والمستدير موجبُ الحماسةِ
 لكنْ دليلُ قلةِ الكياسةِ
 وكثرة الشحم أعلى الوجوه
 دلالة للحمق المكروه
 والشحم على الوجه باعتدالٍ
 علامة للعقل في الرجالِ
 وبارز العظم لئیس وجهه
 فاحكم بخبث طبعه وكرهه

(١) الغزاة : الشمس .

العُنُق :

و (العُنُق) الغليظ والقصيرُ

فهو إلى شجاعة مشيرُ

وعكسه الرقيق والطويلُ

فهو إلى جُبْنٍ لنا دليلُ

الصدر :

وأجمعوا أن وسيعَ (الصدر)

كثير رُوح وطويلُ عُمرُ

وإنه أيضاً دليلُ قطعي

لجودة الفهم وحسن الطبعِ

وضيقُ الصدر أتى بالعكس

ضعيفُ فهم، وضعيف نفسِ

الكتف :

و(الكتف) الذي اكتسى بلحمٍ

فهو دليلُ قوةٍ في الجسمِ

وصحة المزاج والشجاعة

وقوة النفس^(١) والاستطاعة

(١) قوة النفس هنا يقصد بها الصفة المحمودة، بخلاف ما سبق عند الكلام عن الأنف (صفحة ٢٨) .

المنكب :

ومن يكن بعيد بين (المنكب)
وفيه لحمٌ سائرٌ للعصبِ
فهو صحيح الفهم والتركيبِ
وهو قويُّ القلب بالتجريبِ

العضد :

و(العَضُد) الممدوحُ فاشترطهُ
من مرفق للكف انخراطهُ
وبطنه كمثل بطن السمكة
لكن قصيره عديم البركة

البطن :

و(البطن) منه إن خلا عن شعر
دليلٌ فهمٍ وصوابٍ فكرٍ

الإصبع :

قالوا: وطولٌ في (أصابع) اليد
تبنى عن صحة خلق الكبدِ

وجودة في العقل ثم الطبع^(١)

وشرطها اللين وحسن الوضع

الظفر :

صلابة (الأظفار) والأضراس

دلالة لقوة الأساس

الشامات :

من كان فوق الخد منه (شامة)

عظيمة بَشْرَه بالشَّامَةِ

وكثرة الشامات في الخدود

أيضاً دليلٌ ليس بالمحمود

وإن تكن بالأنف فوق الأرنبة

فلا يعيش نسله، مُجْرَبَة

أو كان فوق كَتِفٍ منه شامة

مما يلي الوجه هي الكرامة

أو كان فوق الكَتِفِ اليمين

من شامة مشعرة التكوين

(١) أي شرط الأصابع لكي تبنى عن صحة الكبد : أن تكون لينة حسنة الشكل .

سوف يرى الأول حظاً عالياً
 وإنما الثاني يكون والياً
 أو كان بين الكتفين شامة
 بشره بالملك وبالشهامه
 وإن تكن من ظهره في السلسلة: (١)
 أمواله كثيرة مُسلسلة
 أو فوق إصبعٍ وفوق كف
 دلالة الحظ الرديّ تكفى
 أو فوق ثدييه تكن بَراقة
 كان ودوداً صادق الصداقة
 وإن تكن في زنده محققُ
 كثيرُ أسفارٍ ومنها يُرزقُ
 أو فوق سُرّة فبالإجماع
 كان كثير الباه والجِماع (٢)
 أو كان فوق منبت من عانته
 مستكثر الذكور من ذريته

(١) أي العمود الفقري .

(٢) الباه هو الجماع . فهذا من قبيل عطف البيان .

وإن تكن من فوق فخذ أيمن^(١)

كان رئيسا عالما في الزمن

وإن تكن من فوق فخذ أيسر

يربح من متاجر في السفر

وإن تكن من فوق ظهر القدم

دلالة الى الشقي المجرم

* * *

(١) في الأصل (الأيمن) وفي البيت التالي له (الأيسر) .

(٥)

بحث

في العقل وفضيلته وماهيته

إِنَّ النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى الْمُكْرَمَا
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ ثُمَّ سَلَّمَ
 قَدْ كَانَ أَوْفَرَ الْأَنْامِ عَقْلاً
 مِنْذُ نَشَأَ طِفْلاً وَثُمَّ كَهْلاً
 دَانَتْ لَهُ قَرِيشٌ أَجْمَعُونَ
 وَكَانَ يُدْعَى صَادِقاً أَمِيناً
 وَمِنْ حَدِيثٍ وَاضِحٍ الْيَقِينِ
 قَدْ جَاءَ عَنْهُ : الْعَقْلُ أَصْلُ الدِّينِ
 وَمِنْ قَبِيلِ هَذِهِ الْأَثَارِ
 قَدْ جَاءَ مَا مَعْنَاهُ فِي الْأَخْبَارِ
 كَمَثَلِ : رَأْسُ الْعَقْلِ فِي الْإِنْسَانِ
 مَخَافَةُ اللَّهِ عَظِيمُ الشَّانِ^(١)

(١) أخرج الحكيم وابن لال عن ابن مسعود مرفوعاً «رأس الحكمة مخافة الله». وأخرجه البيهقي في الدلائل وغيره (كشف الخفاء ٤٢١)

ومثل: يا عويمر ازدد عقلا
 تزدد من الله تعالى وصلا
 وجاء ذكر العقل في الكتاب
 في ﴿واتقون يا أولي الألباب﴾^(١)
 وقال أيضا ربنا المجيد:
 ﴿أليس منكم رجلٌ رشيدٌ﴾^(٢)
 وربُّنا قد ركب الملائكة
 عقلا بغير الشهوات الحالكة
 وركب الكلَّ من البهائم
 من شهوةٍ بغير عقلٍ حاكمٍ
 وركب الإنسان من كليهما
 حتى يرى جهاده إليهما
 من غلبت شهوته والجهلُ
 فذاك كالأنعام بل أضلُّ
 أو غلب العقل لدى المعاركة
 صار له الفضل على الملائكة

(١) سورة البقرة الآية / الآية ١٩٧

(٢) سورة هود الآية / الآية ٧٨

قد جعل الله تعالى الحدسا
 لكل شيء عُمُداً وأُسَّاً
 يهدي الفتى العقلُ الى الجنان
 أيضاً ويحميه عن النيران
 العقل فينا أحسن المواهب
 والجهل منا^(١) أقبح المصائب
 والعقل فينا أشرف الأشياءِ
 لأنه ينبوع للأداءِ
 العقل جوهرٌ شريفُ الطبعِ
 وللطباع هو رأس النبعِ
 العقل فينا أشرف الأحسابِ
 وأفضل الفَخار والأنسابِ
 العقلُ للمرء وزيرٌ ناصحُ
 وإنما الهوى وكيلٌ فاضحُ
 ولا صديقٌ للفتى كعقله
 ولا عدوٌّ ظالماً كجهله

(١) في الأصل « الجهل لكن » .

ما يأذن العقل به صوابٌ
 ما يأمر الجهلُ به معابٌ
 ما استودع اللهُ امرءاً من لبّ
 إلا ينجّيه به من كَرَبٍ
 وهذه الدنيا به مُدبّرة
 وهي على أحكامه مقتدرة
 بالعقل يجرى ظاهر الأحوالِ
 وليس يرضى اللهُ بالمُحالِ^(١)
 للعقل قد يحتاج كل طالبٍ
 والعقل محتاج الى التجاربِ
 علامة العاقل في عرفانه
 تراه مقبلاً لأجل شأنه
 ومعرضاً عن كل ما لا يعني
 وعكسه الجاهل فا حفظ عني
 للعقل سلطان بلا جحافلٍ
 يحكم في باطن كل عاقلٍ

(١) أي لا يرضى الله من العبد محاولة فعل المستحيل لما فيه من مخالفة سنن الله في الكون .

أشد من سلطان سيف قاتل
يحكم في ظاهر كل جاهل
العقلُ سلطان على البرية
له الخصال كلها رعية
إن ضُفَّ العقل عن القيام
بها تكن سيئة النظام
كلُّ مسيءٍ آمنٍ فجاهلٌ
والمحسن الخائف فهو العاقلُ
والقولُ في الشاطر من أهل الدها
مع غفلةٍ، أهلٌ يُسمَّى عاقلا ؟
فقال قومٌ : عاقلٌ بالفعلِ
ذا^(١) لا اعتبارهم وجود العقلِ
وغيرهم قد قال بالسوية
لا عاقل بل جيّد الروية
لأنَّ اسم العقل والفظانة
يُشرط فيه الخير والديانة

(١) زدتها تفاديا لجعله همزة اعتبار همزة قطع مع أنها وصل

قيل: الدماغ مستقر الحِـسِّ
 لأنه فينا محل الحِـسِّ
 وقيل: في القلب على القياس
 ذامنشأ الحياة والحواس
 وهو على معنى الحديث واقعُ
 العقلُ نور في القلوب ساطع
 يُفَرِّقُ بين الحق ثم الباطل
 فقولهم "في الرأس" قولُ جاهلٍ
 وقولهم «ذا جوهر لطيف»
 فهو كلام فاسد سخيـف
 لو كان كالجوهر في صفاته
 لكان قائماً إذا بذاته
 وصَحَّ أن يكون في الوجودِ
 عقل بغير عاقلٍ موجودِ
 كما ترى الجسم بغير عقل
 له وجود قائم بالفعلِ
 والعقل قسمان : فمنه مُكتسب
 ثم غريزىٌّ له المولى وهب

كما ترى البعض من الصبيان
 في سرعة الإدراك والإذعان
 فواحدٌ مولّد في الطبع
 وآخرٌ مستجلب بالسمع
 قالوا : وليس نافعاً مسموعٌ
 بنفسه إنْ عُدَّ المطبوعُ
 أي إنْ خلا [العقل] الغريزي^(١) في أحد
 يقوده إلى عيوب لا تُعد
 والقول في المكتسب العزيز^(٢)
 لأنه نتيجة الغريزي
 وهو عبارة عن الإدمان
 ولا له حدٌّ كمثّل الثاني
 لأنه ينقص ان أهملتهُ
 لكنه ينمو إذا استعملتهُ
 وقد تزيد المستفاد التجربة^(٣)
 ولا زيادةً لعقلٍ الموهبة

(١) في الأصل : أي أنه خلا الغريزي .

(٢) في الأصل : الغريزي، وهو خطأ من الناسخ كما هو واضح .

(٣) في الأصل : « فالمستفاد قد تزدّه » بالجزم ، ولا موجب للجزم .

والشيخُ قد تنقص منه قُوَّتُه
لكن يزيد عقله وخبرته
وقالوا : من عاش وصار كهلاً
أفاده كَرُّ الليالي عقلاً
وآية العقل ذكاء الفهم
وغاية الفهم صواب الوهم
مذمومة أيضاً زيادة النُّهى
لأنها تُفْضي لمكرٍ ودها
كفى الفتى من عقله في حده
ما دله على سبيل رُشده
ورأس عقل المرء عند الألمي
الفرق للجائر والممتنع
في وصفه قد قال بعض الكُمَّل :
قياسك الماضي بالمستقبل
تعريفه: وقوفنا بلا خلل
عند المقادير بقولٍ وعمل
العقل: أن تُعطي الأمور حقَّها
وأن تداري فتقها ورتقها

العقلُ: فطنةٌ على التحقيقِ
توقظها عنايةُ التوفيقِ
فيا لها عنايةٌ عُظماءُ^(١)
يمنحها الله لمن يشاءُ
من لم يكن أكثر ما فيه النُّهى
يُهلكه أكثر ما فيه انتهى

* * *

(١) يقصد (عظمى) ومد المقصور سائغ في الشعر .

(٦)

بحث

في الاعتدال

إِنَّ النَّبِيَّ صَاحِبُ الْكَمَالِ

ومحدث العدل والاعتدال

أخلاقه جميعها مُكَمَّلَةٌ

مَرْضِيَّةٌ عَادِلَةٌ مُعْتَدِلَةٌ

وكل ما فيه من الخصال

بالاعتدال - كان - والكمال

«خير الأمور» في الحديث «الوسط»^(١)

كقولهم : إن التناهي غلطٌ

قد جعل الله مزاج العالم

مركبا بالاعتدال الدائم

لأجل ذا من لم يراعِ حدَّه

أفسد منه نفسه وجَدَّه^(٢)

(١) أخرجه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بلفظ « خير الأمور أوسطها » وضعفه ابن الغرس (كشف

الخفاء ٢٣٩١

(٢) أي حَظَّه .

قد سألوا حكيمهم أرسطو
 بأن معنى الاعتدال ما هو ؟
 قال : هو الشيء الذي يعتاده
 يضر نقصه كذا ازدياده
 والشيء إن جاوز رأس حدّه
 لا بُدّ من رجوعه لضدّه
 وإنما الخير هو اسم البين
 توسط بين رذيلتين
 إن زاد أو قصر فيها ذرّة
 فتلك خلّة بها مضرة
 قالوا: ومن سعادة لجّدك
 وقوفك الدائم عند حدّك
 قد يسعد المرء إذا المرء اعتدل
 وربما يشقى إذا هو احتفل^(١)
 من يحتفل بالجهل في غلوّة
 قد يستغل بالرغم من علوة

(١) أي أكثر وبالغ ، من الحفل وهو الكثرة

لا يفعل الجاهل إلا غلطا
فمفرطاً تراه أو مفرطاً
وكل خلقُ فله مقدارُ
يصلح فيه الحالُ والأطوارُ
فالغضب الأوسط باعتداله
الملح في الطعام شبه حاله
لا تذهبن في الأمور فرطاً
وخذ من الجميع حالاً وسطاً

* * *

(٧)

بحث

في القلب

إِنَّ ضِيَاءَ الْكَوْنِ نَوْرَ الْحَيِّ
مَنْ قَلْبُهُ الشَّرِيفُ بَيْتُ الْوَحْيِ
كَانَ سَلِيماً وَطَهوراً قَلْبُهُ
صَلَّى عَلَيْهِ بِالْدَوَامِ رَبُّهُ
وَعَنهُ مَا مَعْنَاهُ : الْإِنْسَانُ
بِأَصْغَرِيهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ
إِنَّ الْقُلُوبَ جَلَّ مِنْ هَدَاهَا
أَوْعِيَّةٌ وَخَيْرُهَا أَوْعَاها
وَمُضْغَةٌ لِلْأَدْمَى فِي الْجَسَدِ
إِنْ فَسَدَتْ فَالْجَسْمُ كُلُّهُ فَسَدَ
إِنْ صَلَحَتْ يَصْلَحُ كُلُّ الْجَسْمِ
أَلَا وَتِلْكَ (الْقَلْبُ) بَيْتُ الْحِكَمِ

ما وسع الله أراضٍ وسَمَا
 بل قلب مؤمن تزكى وسَمَا^(١)
 قالوا : وفي سر القلوب السالكة
 لطيفة ما نالها الملائكة
 من راقب المولى سيدرى ما هي
 يعلم أن القلب بيتُ الله
 والآدميُّ قلبه دواؤه
 وإنما في النفس منه دأؤه
 وأحسن الأعمال بالوجوب
 إلقاؤك السرور في القلوب
 إنَّ القلوبَ جُبلت في الأزمن
 ببغض مؤسيتها^(٢) وحبِّ مُحسن
 غيظُ القلوب - جاء - فاتقوه
 لو كان في بهيمة دَعُوه^(٣)

(١) إشارة إلى حديث : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه، وفي الأصل :

ما وسع الله تعالى مسكننا في الكون إلا قلب من تمسكنا

ولا تليق كلمة (مسكننا) هنا وما أثبتته أقرب للفظ، الخبر وهو يشير إلى الحديث : « ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن قال العراقي في تخريج الأحياء : لم ار له أصلاً . وقال ابن تيمية : هو مذكور في الإسرائيليات وليس له اسناد معروف (كشف الخفاء ١٩٥)

(٢) مؤسيتها : من يسبب لها الأسى أي الحزن .

(٣) في الأصل « فارعوه » وهو يخل بالإعراب أو بالقافية

لو أنني أسقط من أعلى (أحد)
أحبُّ أن أسقط من قلب أحد
إنَّ الزجاجَ كسره لا يشعبُ
وإنَّ كسر القلب منه أصعبُ
أقول : والقلوب أجمعونا^(١)
نور من أنوار الإله فينا
والنفسُ ظلمةٌ من الشيطان
مجبولة في طينة الإنسان

* * *

(١) في الأصل « أجمعينا » .

(٨)

بحث

في الطريقة والسلوك

أول ما نبدأ في ذا البحثِ
 بخلوة الرسول قبل البعثِ
 قد اختلى في الغارِ قبل الأسرة^(١)
 بغير زادٍ وبه في الأخرى
 محافظاً مواظباً للخلوة
 وتارة شهرا بغير سلوة
 مستأنساً بربه وقُربهِ
 مُستوحشاً من أهله وصحبهِ
 وهو بأذكارِ الإله منشغف
 حتى أتاه الوحي وهو معتكف

* * *

في وصفهم صلاته ولا جَرَم

قالوا: وكادت قدماه أن تَرِم^(٢)

(١) يقصد قبل الزواج ، أما بعده فقد كانت خديجة رضي الله عنه تهيئ الزاد له ﷺ للليالي المعدودة التي يتعبد

فيها كما في صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، باب ٣ .

(٢) من الورم .

وغالباً يمضي الليالي قائماً
كذلك الأيام كان صائماً

* * *

جاء: اعبد الله كما^(١) تراه
إن لم ترَ الله يـراك الله
شرطُ العباداتِ مع التمسك
ومع حضور القلبِ والتمكّن
قالوا: ومن قد واطب المجاهدة
لأبداً أن يظفر بالمشاهدة
احتجبَ اللهُ عن البصائرِ
مثل احتجابه^(٢) عن النواظرِ
والملاّ الأعلى إليه يطلبون
كمثل ما إليه أنتم تطلبون^(٣)
وإنه في كل شيء حاكمٌ
وهو على كل البرايا قائم^(٤)

(١) في الأصل «كمن» ولا يخفي أن «كما» أقرب إلى عبارة الحديث المشهور «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أخرجه مسلم (رياض الصالحين).

(٢) في الأصل «كاحتجابه» بهمزة قطع مراعاة للوزن، وما أثبتته يراعى الوزن دون تغيير همزة الوصل إلى قطع.

(٣) كانت في الأصل يطلبوا، تطلبوا.

(٤) وفي الأصل:

أنه في كل شيء ساري مع أنه عن كل شيء عاري

تفكّروا في الله في آلائهِ
 في خلق أرضهِ وفي سمائهِ
 ولا تفكروا إذاً في ذاتهِ
 فتهلكوا بالعجزِ عن صفاتهِ
 وكلُّ ما في الوهم تأتي صورتهُ
 خلافاً لله تعالت قدرتهُ

* * *

وسبيل الإقبال^(١) نحو الخالقِ
 بعدد الأنفاس للخلائقِ
 قالوا : ومن شاهد من سواه
 فإنه يزهد ما سواه
 والعبدُ إن أقبل نحو ربه
 كل القلوب أقبلت لحبه

* * *

علامةُ الواصلُ ممن قد سلك
 بأن يُرى^(٢) أرحم من نفسك بك

(١) في الأصل (الوصال) وهي عبارة غير لائقة والكلمة المستخدمة عند الصوفية : الوصول .

(٢) في الأصل « يكن » . وليس ما قبلها حرف جزم !

يُعرف في الناس بوجه طلق،
وبالسخاء ثم حُسن الخُلُقِ
ما اتخذ الله ولياً جاهلاً
علّمه - إن يتخذ - أولاً
لن يصل العبد لقرب أنسه
وشهوة باقية في نفسه
أول وصل العبد نحو الحق
هجرانه لنفسه بالصدق
قال لعيسى الله: إن تردني
سرّ خطوة عنها^(١) فقد تجدني
وبعضهم جاء بقول قاطع
عبارة عن كثرة التواضع :
من كنت لحيتك المزابلاً
كان الى هذا الطريق داخلاً

* * *

ما وصل الواصل للمقام
إلا بتعظيم أو احترام

(١) أي عن النفس . كما يدل البيت السابق .

ما سقط الساقطُ من أعلى الرتب
 إلا لتركه مراعاة الأدب
 لن تصلوا إلا بشق الأنفس
 أو نفس من واصل ذي نفس
 أو جذبة من جذبات القدس
 أو نفحة من نفحات الأنس
 فجذبة من جذبات الحق
 أفضل من أعمال كل الخلق

* * *

وهذه من نادرَات الحكم
 ترجمتها من قول بعض العجم:
 «وقتُ صباك لعب البطالة
 وفي الشباب سكرة الجهالة
 في الهرم الضعف بلا محالة
 متى عبدت الله ذا الجلالة»

* * *

خلاصة الكلام في الطريقة
 تقليدك الرسول بالحقيقة

(٩)

بحث

في النفس

إِنَّ إِمَامَ الْأَنْفُسِ الزَّكِيَّةِ
 مَنْ نَفْسُهُ رَاضِيَةٌ مُرَضِيَّةٌ
 أَخْبَرَنَا وَهُوَ لَنَا عَيْنُ الْهُدَى
 أَنَّ نَفُوسَنَا لَنَا أَعْدَى الْعِدَا
 جِهَادُكَ النَّفْسِ جِهَادٌ أَكْبَرُ
 وَإِنَّمَا الْحَرْبُ جِهَادٌ أَصْغَرُ
 وَفِي كَلَا الدَّارَيْنِ فَالْخُسَارَةُ
 جَمِيعُهَا مِنْ نَفْسِكَ الْأَمَّارَةُ
 كِفَاكَ نَصْحًا : (خَابَ مِنْ دَسَّاهَا)
 وَقَوْلُهُ : (أَفْلَحَ مِنْ زَكَّاهَا) ^(١)
 وَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ حِينَ فِعْلِهِ
 مَا أَكْرَهَتْ نَفْسُ الْفَتَى لِأَجَلِهِ ^(٢)

(١) سورة الشمس / ١٠ و ٩

(٢) يدل على هذا المعنى حديث « حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات » أخرجه مسلم والترمذي
 (الفتح الكبير ٧٣/٢)

النفْسُ تنقَادُ الى رَدَاهَا
وتطلب اللذة في أذَاهَا
قيل : وَمَنْ يملكُ أمرَ نفسهِ
أطاعه ما دونه من جنسه
للنفس ما كرهته تكبُّرًا
تقودك النفسُ إليه آخِرًا
إذا اقتضتْك النفس من داعيها
صنيعةً لأجل طبعِ فيها
إياك أن تفعلها سريعة
إلا بإذن العقل والشرعية

* * *

والنفس قد تنقاد للصالح
يمنعها المَلذوذُ من مُباح
فيحصل الصلحُ هناك قهراً
منها على ترك الحرام طُراً
إن لم تقد نفسك بالترغيبِ
تقاد بالتسويق والترغيبِ

* * *

قالوا : وللنفس فكن مسوفاً
 وكن إلى العقل عليها مسعفاً
 النفس زوجةٌ وهذا العقلُ
 لها - يقول الحكماء - بعلٌ
 والجسم بيتٌ لهما، فإن غلب
 تشتغل النفس بكل ما وَجَبُ
 أو غلبت يفسد كل السعي
 حتى ترى مشغولة بالغَيِّ
 كامرأة قهّارةٍ لبعْلِها
 تهدم بيتها بقبح فعلها

* * *

لا بُدَّ للنفس من المجاهدة
 تطغى إذا ما رأت المساعدة
 لكنَّ للنفس عليك حقاً
 وهي مطيئةٌ تريد رفقا
 لا تحملنَّ النفس فوق الطاقة
 واحمل بحسب الحال واللياقة

* * *

وقلت في تمثيل أمر العقل
وإن أتى للنفس صعب الفعل :
أوله مُرٌّ ، وحلوٌ آخره ،
باطنه ربحٌ ، وخُسْرٌ ظاهره
لكنّ أمر النفس في هواها
بالعكس لا يرضى به سواها

* * *

(١٠)

بحث

في العلم الشريف

إِنَّ الرَسُولَ الْعَرَبِيَّ الْأُمِّيَّ
 مَدِينَةُ الْحِكْمَةِ بَحْرُ الْعِلْمِ
 هُوَ الْفَصِيحُ مُلْهِمٌ^(١) الْبَيَانِ
 شَمْسُ الْعُلُومِ مَشْرِقُ الْعِرْفَانِ
 عِرْفَانُهُ حَوَى الْعُلُومَ جَمًّا
 وَهُوَ يَقُولُ: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢)
 كَانَ إِلَى كُلِّ الْعُلُومِ بَابًا
 مَعَ أَنَّهُ لَا يَقْرَأُ الْكِتَابَ
 لِأَنَّ عِلْمَهُ بِلَا تَعْلَمِ
 أَبْلَغُ إِعْجَازًا لِكُلِّ الْأُمَمِ
 وَحِرْفَةُ الْخَطِّ لِأَهْلِ الدُّنْيَا
 صِنَاعَةٌ جَلَّ الرَّسُولُ عَنْهَا

(١) سورة طه / الآية / ١١٤

(٢) في الأصل (الملهم) فتكون كلمة (البيان) منصوبة وتختل القافية، لذا حذفت أَل لنقلها للإضافة.

قال: «اطلبوا العلم ولو بالصين»^(١)

فاعلم بأنه عماد الدين
ومن قبيل الحثّ فيه يافتى
كذا «من المهد الى اللحد» أتى
الفخر بالعلم (نَعَمْ) والأدب
وليس بالأصل ولا بالحسب
وكل علم فاسع في مطلبه
العلمُ بالشيء ولا الجهل به

* * *

واعلم بأن العلم في الصدور
ولا تظنّ العلم في السطور
وعنهم : مسألة في الراس
خير من ألف لك في الكراس
قالوا : خذوا العلم من الأفواه
واستودعوه الحفظ بانتباه

(١) قال الحافظ المزي عن هذا الحديث : له طرق ربما يصل مجموعها إلى الحسن (المقاصد الحسنة سنة ١٣٨) .

وكل علم ليس في القرطاسِ
يضيع في العالم كالأنفاسِ
وأول العلم أمرٌ من بصل
آخره يكون أحلى من عسل

* * *

(١١)

بحث

في التقوى

إِنَّ إِمَامَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ
 وَدَاعِيَ الْعِبَادِ لِلْمَعْبُودِ
 أَتَقَى الْوَرَى كَانَ لَدَى مَوْلَاهُ
 مَعَ قَرْبِهِ وَحُبِّهِ إِيَّاهُ
 لَا شَكَّ تَقَوَاهُ لَذَاتِ رَبِّهِ
 كَانَتْ عَلَى مَقْدَارِ عِلْمِهِ بِهِ

* * *

قَالُوا : وَكَانَ دَائِمَ الْأَحْزَانِ
 لَا رَاحَةً إِلَيْهِ فِي أَوَانٍ
 قَالَ : احْفَظْ اللَّهَ لَدَى الرِّخَاءِ
 يَحْفَظُكَ اللَّهُ لَدَى الضَّرَاءِ^(١)
 وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ جَلَّ وَارْتَفَعَ
 أَيْضًا وَمَنْ عَصَاهُ ذَلٌّ وَاتَّضَع

(١) يشير إلى حديث ابن عباس المعروف الذي فيه : « احفظ الله يحفظك » رواه الترمذي وفي رواية غير الترمذي زيادة : تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة (رياض الصالحين ٧٤) .

وقد أتى : لا ترجُ إلا ربَّكَ
وفي الورى لا تخشَ إلا ذنبَكَ
والمرءُ من ذنبٍ لقد جناهُ
فربما يُحرم من مُناه

* * *

واجتنب اليمينَ احتذارا
غموسها قد يُخربُ الديارا
لا تتهاون باليمين لاعبا
لا تحلفنَّ صادقاً أو كاذبا
يهينك الله العظيم الباري
كذا أتى في مُسند الأخبار^(١)

وفي غدٍ أشقى الورى إفلاسا
من أسخطَ الله وأرضى النَّاسا

* * *

واعلم بأن الشرع في التفريض
كحمية الطبيب للمريض

(١) لعلها إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِغْ كُلَّ خَلَاٍ مَهِينٍ ﴾ سورة القلم / الآية ١٠

أحكامه جميعها منافعُ
ونفعه إلى العبادِ راجعُ
لكننا لقلّة الأفهامِ
لا نعرف الحكمة في الأحكامِ
فما نهى عنه الرسولُ فانتهاوا
أيضاً وما آتاكموه فخذوا^(١)

* * *

من شاء أن يعلم ما مكانه
عند إلهه تعالى شأنه
ينظر في منزلة الإلهِ
منه فمثلها بلا اشتباهِ

* * *

وقال أفلاطون فيما اخترعه
أعداد أقسام الوجود أربعة:
١/ أولهم ذو الخبث والدناءة
مقابلُ الإحسان بالإساءةِ

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ سورة الحشر الآية ٧ .

٢/ وذو عناد^(١) للذي قد اتضح

في ذهنه بأنه هو الأصح

٣/ وجاعلُ أعضاءه أعلاها

مستخدماً فيها إلى أدناها

٤/ ومُبلغ الكلام بالتزويرِ

إلى حضور الملك الشريرِ

* * *

(١) في الأصل : « ومن يعاندُ » بالتسكين دون ما يوجبه .

(١٢)

بحث

في القضاء والقدر

إِنَّ النَّبِيَّ صَاحِبَ الْأَرَاءِ
 مَنْ رَأَيْهِ مُوَافِقَ الْقَضَاءِ
 مُوضِحَ سِرِّ الْغَيْبِ فَخْرَ الْبَشَرِ
 مَنْ قَلْبُهُ مِرَاةُ لَوْحِ الْقَدْرِ
 قَدْ اسْتَعَاذَ اللَّهَ مِنْ سُوءِ الْقَضَا
 وَطَالِبًا بَعْدَ الْقَضَا مِنْهُ الرِّضَا
 وَجَاءَهُ : يَسْأَلُ بَعْضَ الْخَدَمَةِ
 عَنْ شَوْكَةٍ كَانَتْ أَصَابَتْ قَدَمَهُ :
 أَهْلُ قَضَا اللَّهِ أَصَابَ مِنْهَا
 قَالَ : نَعَمْ حَتَّى السُّؤَالُ عَنْهَا

* * *

جَاءَ إِذَا مَا نَزَلَ الْقَضَاءُ
 ضَاقَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْفَضَاءُ

هوّن عليك ليس إلا ما أمر
 و (كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) ^(١)
 لا دافعاً لما الإله أنزله
 كل مسخّر لما قدّر له

* * *

هل حذر ينفعنا من القدر
 من بعد أن يأتي العمى الى البصر؟
 ليس لرحل حطه من رافع
 ليس لمن يرفعه من واضع
 ليس لنا من القضا من مفر
 قالوا: من القضا نفرّ للقدر

* * *

وشبهوا التقدير في الأزال
 ثم ظهوره لدى الأحوال
 كأنه مسودة ومجملّة
 والكون كالمبيضة المفصّلة

قلت : كما الفهرست للكتابِ
يُظهر ما فيه من الأبوابِ
اللوحي قد جفَّ ورُفِعَ القلمُ^(١)
وخطَّ ما شاء تعالى بالحكمِ
ألا^(٢) ترى في ظاهر الأمورِ
تسبب الأسباب للمقدورِ
فإنَّه مُسبَّب الأسباب
حتى هي الأسباب في الكتابِ
«ونسبة الأفعال للإنسان
شرك، كما قد قاله الشعراني،
وقولنا : إنا لقد قصَّرنَا
تملَّقْ له تعالى منَّا
قالوا : وحتى ندَمُ العصيانِ
من نسبة الأفعال للإنسانِ
وخيرنا وشرنا بحوله»
إلى هنا نظمته من قوله^(٣)

(١) في الأصل : قد رفع اللوح وجف القلم ! وهو خطأ واضح، ففي الحديث : «رفعت الأقلام وجفت الصحف»

رواه الترمذي قال حديث حسن (رياض الصالحين رقم ٦٣) .

(٢) في الأصل (وإن) وهي تقتضي حذف الألف من (ترى)

(٣) أي من قول الشعراني .

قلت : له الأمر تعالى وحدهُ
سبحانه أمُّ الكتاب عندهُ
يثبت ما يشاء، يمحو ما يشاءُ
يضل من يشاءُ، يهدي من يشاءُ
وحالنا نحن بلا تشكٍ
مثل خيال الظل والمحرك^(١)

* * *

(١) خيال الظل هو تحريك مجسمات أمام الضوء بحيث يظهر خيالها .

(١٣)

بحث

في الرأي والتدبير

إن المنير صاحبُ الإضاءة
 هو المشير صاحب الإراءة
 سيد أهل الرأي والبصيرة
 كل عسيرة له يسيرة
 قد كان من سنته المشاورة
 ليقدح الآراء بالمشاورة
 بالوحي ان لم تأتِه إشارة
 يعمل بالرأي والاستشارة
 ويوم بدر في نزول العسكرِ
 على المياه الرأي لابن المنذر^(١)
 بعدُ أتى جبريلُ بالخطابِ
 مصدّقاً لرأيه الصوابِ

* * *

(١) يقصد الصحابي الحباب بن المنذر الذي أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بتغيير موضع نزول الجيش

يوم بدر.

قالوا : ومن لم يحسب العواقبا
 فلا يكون للزمان صاحبا
 مَنْ عَرَفَ الأيامَ باجتهادٍ
 ليس بغافلٍ عن استعدادٍ
 يلزم أن نسعى إلى التدبيرِ
 والرأي من قبل وقوع البير^(١)
 لا عاقلٌ من كان في احتيالٍ
 للأمر من بعد وقوع الحالِ
 نعم صفاتُ العاقلِ النبيهِ
 يحتالُ من قبل الوقوع فيه

* * *

الرأي مرآة الأمور اللازمة
 في أول الأمر يريك الخاتمة
 في الرأي والعقل لقد قال الأول:
 أوائلُ الرأي أواخرُ العملِ
 من أيقظ النفسَ ذكت آراؤه
 ييأس من كيدٍ له أعداؤه

(١) يقصد : الوقوع في البئر .

واثبت على الرأي بأمر جلد
 فالأمر قد يفسد بالتردد
 واسع إلى تنفيذه في ساعته
 أو ندم يأتيك في نهايته
 لا تلفظ اللفظ بلا تفكير
 لا تفعل الفعل بلا تدبر

* * *

إن جاءك المكروه فانظر أولاً
 هل فيه حيلة إلى دفع البلاء؟
 إن كان فيه حيلة لا تعجز
 أو لم يكن فالصبر فيه أنجز^(١)
 والنفس إن تقو - يقول الحكماء -
 للرأي والتدبير مالت دائماً
 أو ضعفت مالت إلى الإحالة
 للحظ والتقدير والإقالة
 وكل ذي جهل فمن غفلته
 تراه مضياً إلى فرصته

(١) في الحديث «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز» أخرجه مسلم ٥٦/٨

حتى إذا ما فاته الأمر ومر
يعاتب الأفلاك فيه والقَدر
ويقذف التقدير بالبُهتانِ
ومن قصور الرأي ما يعاني^(١)

* * *

(١) في نهاية الحديث المذكور في الهامش (١) « وإن أصابك شيء فلا تقل : « لو أنني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء الله .. » .

(١٤)

بحث

في الحزم والاحتراس

إِنَّ الْأَمِينَ ذَا الْجُنُودِ الْفَاتِكَةِ
 وَهُوَ الَّذِي حُرَّاسُهُ الْمَلَائِكَةُ
 قَدْ كَانَ مِنْ سُنَّتِهِ الْعِلْيَاءِ
 أَنْ يَأْخُذَ الْحِذْرَ مِنَ الْاِعْتِدَاءِ
 مُحْتَرِسًا كَانَ مِنَ الْعَوَالِمِ
 بِالْحَزْمِ ثُمَّ الْاِحْتِيَاظِ الدَّائِمِ
 كَوَضْعِهِ الْحِرَاسَ فِي الْأَبْوَابِ
 وَحَفْرِهِ الْخَنْدَقَ فِي الْأَحْزَابِ
 قَالُوا : وَمَا زَالَ رَسُولُ الْحَقِّ
 فِي الْاِحْتِرَاسِ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ
 حَتَّى اِطْمَأَنَّ فِي نَزُولِ الْآيَةِ
 بِأَنَّهُ الْمُحَرَّسُ بِالْعِنَايَةِ
 تَكْفُلُ إِلَهُهُ بِاِحْتِرَاسِهِ
 بِأَنَّهُ يَعِصِمُهُ مِنْ نَاسِهِ^(١)

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعِصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ سورة المائدة الآية ٦٧ فإنه لما نزلت أمر حرسه بالانصراف .

وقد أتى عنه بأن المؤمنا
 يكون كَيْساً لَبِياً فُطْناً^(١)
 «لا يُلدغ المؤمن مرتين»
 فيه إشارةٌ لذي عَيْنَيْنِ^(٢)
 وكان يتقى مواضع التُّهَمِ
 وجاءنا التحذيرُ عنها في الحكم

* * *

يلزم للحازم أن يُرَائِي
 زمانه كسابحٍ في الماءِ
 فإن سها عن نفسه في حركة
 جرى به الماء لقعر التهلكة
 وقد أخذت من كتاب «الصادح»
 في الحزم بيتا زبدة النصائح :
 «الشهم من أصلح أمر نفسه
 ولو بقتل ولده وعرسه»

(١) في الأصل « مرتان ... عينان !

(٢) يشير إلى حديث « لا يلدغ المؤمن من حجر واحد مرتين أخرجه البخاري ومسلم (رياض الصالحين ٦٢٢) فإنه لما نزلت أمر حرسه بالانصراف .

قلت : ولو كان بقلعِ ضرِسِه
 وجَدعِ أنفه وقلعِ غرسِه
 وقال أفلاطون رأس الكمّل :
 لا تركزَنَّ للرجا والأملِ
 هما يسوقانك بالسهولةِ
 في الأمر للشدائد المهولة

* * *

من تمّ عقله فليس يسكتُ
 عما يضر نفسه ويكبتُ
 الخوف للعاقل دستور العمل
 «من لا يخاف لا يخيف» في المثل
 وغافلٌ عن نفسه وساهي
 لا بُدَّ أن توقظه الدواهي
 وغافلٌ عن العدو قاعدُ
 لا بد أن تقيمه المكايدُ
 والغفلةُ العدوُّ بل أشدُّ
 والفتنةُ الصديقُ بل أسدُّ

واخشَ الذي وَترته^(١) إذا جَنَى

قيل : ولو كنت إليه مُحْسِنًا

* * *

ما لمتُ نفسي دائماً على خطأ

قد افتتحته بحزمٍ وذكا

ولا مدحتُها على صوابٍ

تصادفاً جاء بلا حسابٍ

فكلُّ ليلٍ فاتخذَ مراقبه

في أمرٍ دنياك وأمرٍ العاقبة

أعدَّ^(٢) للأمر الذي تقصده

آراءَ حزمٍ كي بها ترصده

واجعل من الرأي بروجاً باهرة

واقعد على الدوام في المحاصرة

* * *

(١) أي ألحقت به مصيبة أو عقوبة . ومنه الموتور : المصاب .

(٢) في الأصل « وعدَّ » .

(١٥)

بحث

في الجهل والحمق

إن رزینَ العقلِ ذا الجلالة
 مَنْ صانه الله عن الجهالةِ
 من شهدت أعداؤه بفضلِهِ
 حتى أبو جهل كذا مع جهله
 قد كان عن كل جهولٍ معرضاً
 وكان للجهل الذمیم مُبغضاً

* * *

وقالوا في الأحق ما معناه :
 أبغضُ مخلوقٍ الى مولاه
 حرّمه^(١) الأعزّ في الأشياء
 إشارة للعقل والذكاء
 الحمقُ داءٌ ما له دواءُ
 دواؤه الرحلةُ والفناءُ

(١) في الأصل « أحرمه » .

إِنَّ الَّذِي يَجْهَلُ قَدَرَ ذَاتِهِ
 يَهْتِكُ سِتْرَهُ إِلَى مَمَاتِهِ
 مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُحْفَظُ الْبَلِيدُ
 وَحَفَظَهُ مِنْ نَفْسِهِ بَعِيدُ
 وَهُوَ عَدُوُّ نَفْسِهِ فِي سَيْرِهِ
 كَيْفَ يَكُونُ ذَا صَدِيقٍ غَيْرِهِ؟!
 وَكُلٌّ مِنْ لِنَفْسِهِ قَدْ ظَلَمَا
 فَهُوَ لْغَيْرِهِ أَشَدُّ أَلَمَا

* * *

إِنَّ أَكْرَمَ الْجَاهِلِ يَوْمًا أَحَدَا
 يَفْسِدُهُ بِالْجَهْلِ لَا بِدُغْدَا
 وَيُحْمَدُ الْعَاقِلُ مِنْ غَيْرِ عَطَا
 وَإِنْ يَكُنْ أُعْطِيَ فَقَدْ زَادَ الثَّنَا
 ذُو الْجَهْلِ إِنْ آنَسَتْهُ تَكَبُّرَا
 أَيْضًا وَإِنْ أَوْحَشَتْهُ تَكْدَرَا
 وَعَنْهُمْ : الْجَاهِلُ مِثْلُ الْخُنْفُسَا
 وَكُلَّمَا حَرَكْتَهُ فَقَدْ فَسَا

عمدٌ ذي الجهل على آماله
وعمدٌ العاقل في أفعاله

* * *

ودولة الجاهل في المثال
سحابةٌ سريعةٌ الزوال
قالوا : وكم من أبله جهول
ساعده الطالعُ بالقبول
فنال في فرصته إقبالا
وعزةً ورتبةً ومالا
فعن قريبٍ لقيحٍ فعله
وعُجِبَهِ وطِيشُهُ وجهلُهُ
يزيله الحمقُ المضلُّ^(١) عنها
يزيله الجهلُ المضرُّ منها
يرجعه غمًّا الى رتبته
يرده قهراً إلى قيمته
من بعد ما تظاهرت ذنوبُهُ
وفي الورى تكاثرت عيوبُهُ

(١) في الأصل « المعز » .

ترى وليّه له معاديا،
 مادّحه أضحي إليه هاجيا
 لا تدع الأيام ذا جهالة
 إلا وأدّبه لا محالة

* * *

- علائم الجاهل جاء في الخبر
 بأنها عدّتها ثماني عشر^(١)
 ١-٣ تهاون، مع خفة، والعجلة،
 ٤-٦ والسهو، والتفريط، ثم الغفلة
 ٧ و٨ إضاعة، تردد في الأمر،
 ٩ وطاعة للنفس طول العمر،
 ١٠ - في كل شيء غضب وسخط،
 ١١ - تكلم من غير نفع قط،
 ١٢ - إفشائه السر الى الأجناس،
 ١٣ - مع ثقة فيه لكل الناس،
 ١٤ - يكون ان أعطيته كفورا،
 ١٥ - إن^(٢) هو أعطاك يكن فخورا،

(١) في الأصل : مجموعها ثماني بعد عشر .

(٢) في الأصل « إن » .

١٦ - يرجع عن دعواه في المفاوضة

بأيسر الجواب من معارضة

١٧ - للعجز فيه عن بيان مقصده

وربما الحق يكون في يده

١٨ - وهو تراه كلما استغنى بطر

أو يفتقر تراه مأیوسا ضجر

فهذه علائم للجاهل

فاحكم بعكسها إذا للعاقل

* * *



(١٦)

بحث

في الظن

إِنَّ الذي بر به ركوئه
ومَن به قد حسنت ظنؤه

كان سليم الصدر صافي المتن
سنته في الناس حُسنُ الظنِ
وفي الحديث: «الحزم سوء الظن»^(١)

فاعملُ بقوله لكل فَن
وقد أتى : كونوا على احتراس
بسوء ظنٍ من جميع الناس^(٢)

* * *

وقال افلاطون في ذا الفن:
عليك يا هذا بسوء الظنِ
فإن تكن أصبت فالسلامة
أو لم تصب فالحزم لالملازمة

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب عن علي رضي الله عليه مرفوعاً (الفتح الكبير ١ / ٨٠)

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط وابن عدي عن أنس مرفوعاً (الفتح الكبير ١ / ٥٠) .

فإنَّ سوء الظن من بعض الفِطَن
 وإن حسن الظن موجب الفتن
 وأكثرُ العِثَار والآلام
 من حُسْنِ ظن المرءِ بالأَيامِ
 فاعمل بسوء الظن لا تبالِ
 بالدهر والأَيامِ والليالي
 والحِظَّ والنعمَةِ والخلِيقَةِ
 تعشُ بدنِياك على وثيقَةٍ

* * *

لا تُحسِّنِ الظن سِوَى بالله
 إن كنت في حزمك في انتباهِ
 لله حسن الظن لا سِوَاهُ
 فعند ظنِّ عبده يلقاهُ^(١)
 أيضاً، وكن من مكره على حذر
 بين الرجا والخوف، هكذا أمر^(٢)

* * *

(١) يشير إلى الحديث القدسي « أنا عند ظن عبدي بي » أخرجه البخاري ومسلم (رياض الصالحين ٢١٦).

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ سورة يوسف الآية / ٨٧ .

(١٧)

بحث

في إتقان الأمور

إِنَّ التَّهَامِيَّ حَكِيمَ الْوَضْعِ
 رَسُولَ مَنْ أَتَقَنَ كُلَّ صُنْعٍ
 هِدَايَةَ الدُّنْيَا وَخَيْرَ أَهْلِهَا
 مَنْ وَضَعَ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا
 نَبِيَّنَا مَعَ عِلْمِهِ الْمَشْهُورِ
 وَرِفْقِهِ الْمُبَارَكِ الْمَشْكُورِ
 مَنْ وَصَفَهُ كَانَ شَدِيدَ الْبَطْشِ
 لِأَنَّهُ سَيْفٌ إِلَهِ الْعَرْشِ
 قَدْ كَانَ بَطَّاشًا بِمَنْ قَدْ اعْتَدَى
 وَكَانَ هَشَّاشًا لِمَنْ قَدْ اقْتَدَى
 يَهْشُ لِلنَّاسِ مَحَلَّ الْهَشِّ
 يَبْطِشُ إِنْ كَانَ مَحَلَّ الْبَطْشِ

* * *

وعرّف الاتقان أهل الدقة:
 أنك تعطي كلّ أمرٍ حقّه
 وأن تكون في الأمور^(١) صائباً
 بحيث لا تلقى عليه^(٢) عائباً

* * *

فأتقن الأعمال حسب الغاية
 فقد أتى عن صاحب الهداية
 قال : إذا ما عمل العبدُ العملُ
 أحبّ أن يتقنه عزّ وجلّ^(٣)

* * *

قالوا : ولا تأت لكل واردة
 وكل شخص بصفات واحدة
 بل اتّخذ لكل شيءٍ حالاً
 كل مقام أعطه مقاماً
 بمثل ما يليق في القضية
 فإنه أنظم للحاليّة^(٤)

(١) في الأصل « وأن تكن في كل أمر » .

(٢) في الأصل « بحيث أن لا تلقى فيه » .

(٣) إشارة إلى حديث « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (الفتح الكبير ١/ ٣٥٤) .

(٤) أي للفترة الحالية .

مِنْ عِلْمٍ أَوْ عِقَابٍ أَوْ إِكْرَامٍ
 وَلَطْفٍ أَوْ عُنْفٍ أَوْ انتِقَامٍ
 فالناس في طباعها مختلفة:
 ممزوجة ، وحشية ، مؤتلفة
 فمنهم يصلح بالملاطفة،
 ومنهم يصلح بالمعانفة،
 وبعضهم يصلح بالجفاء،
 وبعضهم يصلح بالوفاء،
 ويُصلح البعض التجافي عنه
 وبعضهم بالانتقام منه
 مُفسِدٌ هذا مصلحٌ لغيره
 وإذا خالف لذا في سيره

* * *

وكن بحسبِ الوقت حلواً مرا
 فتارةً خيراً وطوراً شراً
 كقولهم أَعْلِكِ أَخَاكَ التمرة
 تَكْرَماً فَإِنْ أَبَى فالجمرة

ولا تكن رطباً وإلا تُعَصِّرُ
أو يابساً صلباً وإلا تُكْسِرُ^(١)

* * *

والناس فاخترهم إلى الصنِعةِ
كما اختار الأرض للزريعةِ
أصلُ العداوات تقول الحكماء
فعل الجميل للثيم ذي العمى^(٢)
يا رَبِّ إحسان يعود ذنباً
ورُبَّ مدحٍ قد يصيرُ سباً
لا تجعل المسيء مثل المحسنِ
ليس الرخيص كالعزيزِ الثمنِ
وكلُّ صنعةٍ بغير هادٍ^(٣)
لابد أن تثول للفسادِ

* * *

(١) في الأصل « مرطباً فتعصر - وإن تكن ميبساً فتكسر

(٢) في الأصل « للثام والدنا » .

(٣) في الأصل بلا أستاذ ! .

قال أرسطا ليس للاسكندر :
لا تنخدع الى هواك واحذر
فإنه يسترسل الإنسان
وهو يظن أنه يقظان
واجمع إلى نفسك في الرئاسة
الحالة الوسطى من السياسة
ما بين لبث ليس فيه غفلة
ثم بدار ليس فيه صولة
وكن إذاً للحق عبداً قائماً
فإن عبد الحق حُرٌّ دائماً
وليك أيضاً فعلك الإحسانا
الى الورى في أي شيء كانا
ثم من الإحسان عند أهله
وضع مبيء الناس في محله
وكن نصيح النفس خلّ عنك
لا لك أرأف إليك منك

* * *

قد سأل المأمونُ في رؤياهُ
الى أرسطا ليس ما معناهُ :
ما أحسنُ الأشياءِ في مذاهبه ؟
فقال : ما لا خوف في عواقبه
قال له : فما ؟ فقال : الفعل
ما استصوباهُ : الرأيُ ثم العقلُ
قال : فما ؟ قال : أجبت علنا
ما قد رآه الخلق طُرّاً حسنا
قال : فما ؟ فأظهر الشعثة
له وما زاد على الثلاثة

* * *

(١٨)
بحث
في الخير

إِنَّ الْبَشِيرَ طَاهِرَ الصِّفَاتِ
ذُو الْبِرِّ وَالْمَعْرُوفِ وَالْخَيْرَاتِ
قَدْ كَانَ خَيْرُ النَّاسِ ذُو الْفَلَاحِ
أَسْرَعَ فِي الْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ^(١)
وَقَالَ : «بَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا»
وَقَالَ : «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»^(٢)
وَمَنْ يَسُوقِ النَّاسَ فِي دَلَائِلِهِ
يَوْمًا عَلَى الْخَيْرِ يَكُنْ كِفَاعِلُهُ^(٣)
قَالُوا : اجْعَلِ الْخَيْرَ إِلَيْكَ عَادَةً
وَالشَّرَّ فِي الْحَاجَةِ لَا زِيَادَةَ

* * *

(١) إشارة لحديث « كان رسول الله ﷺ أجود الناس .. أجود بالخير من الريح المرسلة » أخرجه البخاري ومسلم (رياض الصالحين ٤٤٠).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم هكذا : « يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا » (رياض الصالحين ٢٨٠).

(٣) إشارة لحديث : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » أخرجه مسلم (رياض الصالحين رقم ١٧٨).

وقال افلاطون في الإنسان :
 يلزمه في سائر الأديان
 يُقوِّم الباطن بالديانة
 على ابتغاء الخير والأمانة
 فيما أقامه به إلهه
 وما احتوى مقامه وجاهه
 وقال : فعل الخير لا تُشهِّره
 وبعد فعله فلا تذكِّره
 له عيون في سماء العرش
 اشرف من أعين هذا الفرش
 تُبصره ثم تجازي عنه
 فإن ذكرته حُرمت منه

* * *

(١٩)

بحث

في الشر

إِنَّ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ الطَّهَوْرِ
 قَامَعَ أَهْلَ الْبَغْيِ وَالشُّرُورِ
 يَكْرَهُ، كَانَ، الشَّرَّ وَالْأَشْرَارَا
 حَتَّى اسْتَعَاذَ مِنْهُمَا مَرَارَا
 قَالَ : إِنَّ شَرَّ الْخَلْقِ مَنْ لَغَشَهُ
 قَدْ اتَّقَتْهُ النَّاسُ خَوْفَ فُحْشِهِ^(١)
 شَرُّ الرِّجَالِ مَنْ إِذَا أَتَى مُدِحٌ
 لَكِنْ تَرَاهُ كَلِمَا غَابَ قُدْحُ

* * *

لَا تَصْحَبِ الشَّرِيرَ وَابْعُدْ عَنْهُ
 يَمْنُنُ عَلَيْكَ بِالنِّجَاةِ مِنْهُ
 وَالشَّرَّ لَا تَطْفِئِ بَشْرَ مَبْرَمٍ
 وَهَلْ دَمٌّ يُغْسَلُ أَيْضًا بِدَمٍّ؟!

(١) إشارة إلى حديث أن شر الناس من اتقاه الناس لفحشه.

قالوا : ادفع الشرّ عن^(١) الورود

بعودٍ ان قدرت أو عمودٍ؟

لا يُمهّل الشرُّ ولا يُستحقر

من يمهّل الشر اعتراه الضرر^(٢)

* * *

(١) في الأصل « على ».

(٢) في الأصل آخر الشطر الأول « تستحقّره » وآخر الشطر الثاني « الضرورة ».

(٢٠)

بحث

في كرم الطباع

إِنَّ كَرِيمَ النَّفْسِ وَالْخِصَالِ
سَيِّدَنَا ذَا الْمَجْدِ وَالْكَمَالِ
مَنْ كَرُمَتْ طَبَاعُهُ وَذَاتُهُ
وَهُوَ الَّذِي قَدْ عَظُمَتْ صِفَاتُهُ
قَدْ كَانَ أَكْرَمَ الْأَنَامِ نَفْسًا
وَذَاتُهُ لِلْمَكْرَمَاتِ أَسًّا
لَا مَنْ فِي عَطَائِهِ وَلَا عَوْضُ
وَلَا هَوًى فِي حَكْمِهِ وَلَا غَرَضُ
وَاتَّخَذَ الْكِرَامَ عَنْهُ سِنْدًا
إِنَّ الْكَرِيمَ لَا يُضَامُ أَبَدًا

* * *

قد وصفتُ ساداتنا^(١) الصوفية
لنا معاني كرم السَّجِيَّة :

(١) في الأصل « وصفوا ساداتنا » .

من كان من أمواله تبرّعا^(١)،
 عن مال غيره له تورّعا
 قد قالت الكرام : أنسَ رفدك
 واصحّ فلا تنسَ بيومٍ وعدك
 وأكرم النفسَ على الفضائلِ
 فأنت مدفوعٌ إلى الرذائلِ
 من نفسه قد كُرمَتْ عليه
 فالمال قد يصغر في عينيه

* * *

إنَّ كريمَ النفس لا يستقصي
 إن كنت ذا كرامةٍ لا تُحص
 كل كريمٍ للأذى محمولٌ
 كل لئيمٍ في الورى محمولٌ
 إن أنت أكرمتَ الكريمَ صنته
 أو أنت أكرمتَ اللئيمَ خنته
 إنَّ الكريمَ ذا الجناح والهمم
 يظلم أعلى منه^(٢) فيما إن ظلم

(١) في الأصل « يكن بماله له تبرعاً » .

(٢) في الأصل « يظلم أعلاه إذا ما قد ظلم » .

لكنَّما اللئيم - قال الحُكَّما -

يظلم من أسفل منه دائما

* * *

شرُّ الكريم منعه عنك العطا

خيرُ اللئيم منعه عنك الأذى

* * *

(٢١)

بحث

في لؤم الطباع

إِنَّ النَّبِيَّ طَاهِرَ الطَّبَاعِ
 مُهَذَّبَ الْأَخْلَاقِ وَالْأَوْضَاعِ
 وَمَنْ إِلَيْهِ أَحْسَنُ الطَّبَعِ انْتَهَى^(١)
 حَذَّرَ عَنْ لُؤْمِ الطَّبَاعِ وَنَهَى
 هُوَ كَرِيمٌ نَسَبٍ وَذَاتِ
 أَسْنَى الْوَرَى أَذْكَاهُمْ صِفَاتِ^(٢)
 مِنْ نَعْتِهِ : أَكْرَمَهُمْ أَرْوَمَةٌ
 مِنْ وَصْفِهِ : أَشْرَفَهُمْ جَرْتُومَةٌ^(٣)

* * *

وَسَائِلُ النِّفَعِ مِنَ اللَّئَامِ
 كَزَارِعِ السِّمَسِمِ فِي الْحَمَامِ
 إِنَّ سِلَاحَ فِتْنَةِ اللَّئَامِ
 (قَالُوا) هُوَ الْقَبِيحُ مِنْ كَلَامِ

(١) في الأصل : ومن به حسن الطباع انتهى بهمزة قطع لكلمة (انتهى) .

(٢) في الأصل : « هو الكريم نسبا وذاتا اسنى الورى أذكاهم صفاتا » (١)

(٣) الجرثومة هنا : الأصل .

إِنْ كُنْتَ أَنْتَ عَارِفًا مَعَابِكَ
 فَلَا تَلُومَنَّ إِذَا مِنْ عَابِكَ
 قَالُوا : وَمَنْ كَانَ عَلَيْكَ عَاتِبَا
 فَإِنَّهُ كَانَ إِلَيْكَ عَائِبَا
 إِكْرَامُكَ الْمَرْءَ اللَّئِيمَ الْخِلَاطِ
 تَرْبِيَةُ الثَّعْبَانِ تَحْتَ الْإِبْطِ
 لَا بُدَّ يَوْذِيكَ غَدًا بِحَالِهِ
 كَمَنْ يُرَبِّي الشَّوْكَ فِي أَذْيَالِهِ

* * *

إِنَّ الشَّقِيَّ بَيْنَ سُخْطِ الْخَالِقِ
 وَبَيْنَ شَامِتٍ مِنَ الْخَلَائِقِ
 دُنْيَاكَ أَرْدَى خَلَقَهَا لِنَأْمِهَا
 كَالنَّارِ فِي إِضْرَامِهَا إِكْرَامُهَا

* * *

وَقَالَ افْلَاطُونُ فِي الْبَيَانِ :
 وَاعْجَبًا مِنْ غَفْلَةِ الْإِنْسَانِ
 قَدْ يَتْرَكَ اللَّذِيذَ مِنْ طَعَامِ
 لَصِحَّةِ الْجِسْمِ مِنَ الْأَسْقَامِ

لا يترك القبيح من فعالٍ
حتى تصحّ النفس من ضلالٍ

* * *

أقول : حَفَرُ البئر بالجفونِ
وملؤه بأدمعِ العيونِ
والقلعُ للصخور بالأضراسِ
وحملها للجو فوق الرأسِ
أهونُ للحرّ من القيامِ
بحبة من منة اللئامِ

* * *

(٢٢)

بحث

في حسن الأخلاق

إِنَّ كَرِيمَ النَّفْسِ وَالْأَخْلَاقِ
مَنْ مَدَحَهُ جَاءَ مِنَ الْخَلْقِ^(١)
قَدْ كَانَ أَوْسَعَ الْأَنَامِ صَدْرًا
أَكْرَمَهُمْ مَرْوَةً وَقَدْرًا
يَا حَبِذَا مُحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ
قَدْ كَمَلْتَ فِي سَيِّدِ الْأَفَاقِ
كَانَ عَلَى آدَابِهِ حَفِيزًا
مَا كَانَ فِظًا ، لَا وَلَا غَلِيزًا
مُؤَلَّفًا قَدْ كَانَ لَا مُنْفَرًا
أَلَيْنَهُمْ عَرِيكَةً وَمُخَضَّرًا
يَقْبَلُ (كَانَ) عَذَرَ كُلِّ مُعْتَذِرٍ
وَعَفْوَهُ قَدْ كَانَ عَفْوَ الْمُقْتَدِرِ

(١) في الأصل « ومن أتى في خلق الخلاق » !

وكان محزوناً بغير عبس
وباسماً من غير ضحك يُقسي^(١)
ولم يواجه أحداً بأي ما^(٢)
يكره أو يخجله تكوما
بل إن أراد النهي للهداية
يشير للمقصود بالكناية
ما بال قوم يفعلون هكذا
ياحبذا أخلاقه ياحبذا

* * *

وقال : حُسن الخلق في الإنسان
أول ما يوضع في الميزان^(٣)
لن تَسْعُوا العالمَ بالإنفاقِ
عليكمُ بأحسنِ الأخلاقِ^(٤)
في وصف حُسن الخلق قالوا : حبذا
بذلُ الندي للناس مع كف الأذى

(١) أي يقسي القلب، ومن الحكم : كثرة الضحك تقسي القلب .

(٢) في الأصل « ولم يشابه أحداً بكل ما » .

(٣) في الأصل « نيشانه » .

(٤) يشير إلى الحديث « لا تَسْعُونَ الناسَ بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسطُ الوجه وحسن الخلق » أخرجه

البخاري وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب والحاكم (الفتح الكبير ١ / ٤٣٣) .

للمرء حسن الخلق خير صاحبٍ
يستر غيره من المعايب
من لانَ خُلُقُه صَفَتْ معيشتُه
وفي القلوب أُسِّستُ محبَّتُه
من حَسُنْتَ أخلاقه أراحا
أعنى : أراح الناس واستراحا

* * *

قالوا : دليل العقل في الآفاقِ
ميل الفتى لأحسن الأخلاقِ
تراه للفعل الجميل راغبا
أيضاً عن الفعل الذميم راهبا

* * *

(٢٣)

بحث

في سوء الأخلاق

إِنَّ الْخُلُقَ سَيِّدَ الْآفَاقِ

ومن نهى عن سيئ الأخلاقِ

نَبِيَّنَا بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ

لقد أتى والمنطق الكريمِ

يُعْجِزُ وَصْفُهُ اللَّيْبَ الْأَلْسَنَا^(١)

سبحان من أدبه فأحسننا

ماكان لعاناً ولا فحاشا

حاشا مقامه الشريف حاشا

قد استعاذ الله ربَّ الفلقِ

من ظلمة الجهل وسوء الخلقِ

وعنه : لا يجتمعن في مسلم

البخلُ ثم سوءُ خُلُقٍ مَظْلَمٍ^(٢)

(١) الألسن (بفتح السين) فعل تفضيل من اللسن وهو الفصاحة .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي عن أبي سعيد مرفوعاً ونصّه « خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق » (الفتح الكبير ٨٧/٢) .

وإنَّ سوء الخلق في الأشرار
يقودهم للنار ثم العار

* * *

قيل : ومن قد ساء منكم خُلُقُهُ
ضَيِّقُ في الأرض عليه رزقُهُ
من ساء خلقه تدوم بُغضته
أيضاً تكدَّرت عليه عيشته
وسوءُ خُلُقِ المرءِ شرُّ نائلٍ^(١)
يُقبِحُ الغير من الفضائلِ
وسوء سيرة الفتى تؤسِيهِ^(٢)

وتخلع السلطان عن كرسِيهِ
دع كل خُلُقٍ مَن حواه يُحتَقِرُ
دَعْ كلَّ ذنب منه يوما يُعتَذِرُ

* * *

وسِيئُ الخلق رديءُ الفكر
وسِيئُ الظن خبيثُ المكرِ

(١) في الأصل « بئس نائلا » .

(٢) أي تسبب له الأسي .

وفاسدُ الأوهام والوسواس
مبغضٌ وباغضٌ للناسِ
تراه لا يشكر فضلَ الحقِّ
أيضاً ولا يحمدُ صنْعَ الخلقِ
مضطرباً ليس إليه راحة
صورته باكية نواحة
مضطجراً وعابساً مضطرباً
ودائماً تراه مقشعراً
تظنه من مقتته في نقمةٍ
مع أنه من ربه في نعمةٍ
مقلَّب ليس له وفاءٌ
ولا له ودٌّ ولا إخاء
فظٌ غليظٌ مستحيلُ الأدبِ
وضيقُ الصدرِ سريعُ الغضبِ
ومشمئز النفس من كآبة
من ظله يغضب والذبابية
تخاله كساخطٍ من ربِّه
ونفسه وأهله وصحبه

(٢٤)

بحث

في البشاشة

إِنَّ مِنِيرَ الْخَدِّذَا التَّبَسُّمِ
 كَانَ بِسِيمِ الْوَجْهِ لِلتَّرْحَمِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ
 مَا ابْتَسَمَ الصَّبْحَ وَمَا اللَّيْلَ عَيْسٍ
 كَانَ (نَعَمْ) وَجْهُ شَفِيعِ الْحَشْرِ
 عَلَى بَشَاشَةٍ وَحُسْنِ بَشَرٍ
 وَجَاءَ عَنْ بَعْضِ الثَّقَاتِ الْكُرَمَا
 أَكْثَرَ مَا كَانَ يُرَى مَبْتَسِمًا
 وَكَانَ أَقْصَى ضَحْكِهِ تَبَسُّمًا^(١)
 يَبْسُمُ حَلْمًا كُلَّمَا تَكَلَّمَ
 وَلَيِّنَ الْجَانِبَ سَهْلَ الْخُلُقِ
 وَدَائِمًا يَبْدُو بِوَجْهِ طَلَّقِ

(١) في الحديث « كَانَ لَا يَضْحَكُ إِلَّا تَبَسُّمًا » أخرجه أحمد والترمذي والحاكم (الفتح الكبير ٢ / ٣٧٢) .

كان (نعم) أقلَّهم تكلمًا
لكنه أكثرهم تبسمًا

* * *

الوجه منك إن يكن بشَّارًا
والقول أيضًا لنا مختارًا
تكن إلى الناس أحبَّ دائما
من الذي يعطيهم الدراهما
ولاتكن ذا غلظةٍ وحِيقٍ
يُحِبُّ ربي كلَّ سهلٍ طَلِقٍ
يُحِبُّ وجهه الطَلِقَ البَسَّامِ
كذا أتى عن سيد الأنام^(١)
البشرُّ قد يعقد قلبَ الناسِ
على محبةٍ مع استئناسِ

* * *

(١) يشير إلى حديث « الله يحب السهل الطلق » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (الفتح الكبير ٣٥٤/١).

(٢٥)

بحث

في المداراة

إِنَّ النَّبِيَّ سَاتَرَ الْعُيُوبَ
 سَيِّدَنَا مُؤَلِّفَ الْقُلُوبِ
 كَانَ يَدَارِي النَّاسَ بِاصْطِبَارٍ
 يَقُولُ : قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَدَارِيَ
 كَمَا يَدَارِي الْعُصْبَةُ الْمُؤَلَّفَةُ
 ثُمَّ الْمُنَافِقِينَ بِالْمَلَاظِفَةِ
 وَبِالْمَدَارَاةِ أَمْرُنَا^(١) يَأْتِي
 وَعَنْهُ : « دَارُوا سَفَهَاءَكُمْ »^(٢) أَتَى
 وَبَعْدَ إِيمَانٍ أَتَى فِي النُّقْلِ
 تَوَدُّدًا لِلنَّاسِ رَأْسُ الْعَقْلِ

* * *

(١) في الأصل « انا امرنا بالمدارا » وهو يشير إلى حديث « داروا الناس بعقولكم » أخرجه الغسولي في جزء (كشف الخفاء ١٩٥) .

(٢) في كشف الخفاء ص ٤٠٠ : ما اشبهه بالموضوع !

عن المداراةِ جرى^(١) في الألسن

قيل «إذا عزّ أخوك فهُنَّ»

فعاشر الناس بخلق القرشي^(٢)

ودار من طاش ومن لم يطش

[وقيل قولُ شأنه المجازُ

لأنه في الشرع لايجازُ:]

لا بد للمرء من السجودِ

في زمن السوء الى القروء^(٣) !

* * *

(١) في الأصل « حد للمدارا مثل » .

(٢) يقصد النبي ﷺ .

(٣) يشير إلى خبر موضوع ! وهو يسجد للقرود في دولته (كشف الخفاء ٣٨٦) . وقد أضفت البيت السابق له للتنبيه على ان المراد المبالغة في المداراة .

(٢٦)

بحث

في الحلم

إِنَّ النَّبِيَّ الْكَامِلَ الْحَلِيمَا
 الْهَاشِمِيَّ الْمَشْفَقَ الرَّحِيمَا
 كَانَ حَلِيمًا مُؤْنِسًا رَفِيقًا
 وَهَيِّنًا وَلِيْنًا خَلُوقًا
 وَكَانَ يَخْتَارُ مِنَ الْأُمُورِ
 أَيْسَرَهَا لِرَفْقِهِ الْمَشْكُورِ^(١)
 مِنْ حِلْمِهِ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ
 يَقُولُ : "لَيْكَ" لِمَنْ دَعَاهُ

* * *

الْحِلْمُ مُصْبَاحٌ إِلَى الْفَلَاحِ
 وَالرَّفْقُ مِفْتَاحٌ إِلَى النِّجَاحِ
 الْحِلْمُ فَوْقَ الْعَقْلِ قَدْرًا فِي الشَّرَفِ^(٢)
 لِأَنَّ رَبَّنَا بِهِ قَدْ اتَّصَفُ

(١) يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثماً (رياض الصالحين ٢٨٠) .

(٢) في الأصل « قدراً وشرف » .

وَحِدَّةُ الْمَرْءِ يَقِيناً تُهْلِكُهُ
 وَرَفْقُهُ وَحَلْمُهُ يُمْلِكُهُ
 الْحَلْمُ لآلِفَاتِ كَالْحِجَابِ
 وَلِلْغَنَى مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ

* * *

كُنْ لَيْنَ الطَّبَعِ بِغَيْرِ ضَعْفٍ
 وَكُنْ شَدِيدَهُ بِغَيْرِ عَنَفٍ
 قَالُوا بَأْسَ الْحَلْمِ فِي وَقْتِ الْغَضَبِ
 كَغَضَبٍ فِي مَوْضِعِ الْحَلْمِ عَطَبٍ^(١)
 مَنْ صِفَةُ الْحَلْمِ لَدَيْهِ شُهُرتُ^(٢)
 فَجَرَأَةُ الْخَلْقِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ
 وَالْحَلْمُ : اطمئنان نفس الأرب
 عِنْدَ مُحَرَكَاتِ نَارِ الْغَضَبِ

* * *

(١) كأنه يشير إلى قول المتنبي :

مضِرُّ كَوْضَعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

وَوَضْعِ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعَلَا

(٢) فِي الْأَصْلِ « الْحَلْمُ مِنْ أَخْلَاقِهِ قَدْ شَهَرَتْ » .

(٢٧)

بحث

في الغضب

إنَّ الحليم ذا الثبات والأدب
مَنْ وصفه : لا يستفزه الغضب
قد كان لا يغضب خيراً الخلق
إلا لهتك حرمت الحق
لعلمه الحكمة في جزي القضا^(١)
في كل شيء كان شأنه الرضا
يغضبُ الله ، إذا ما قد غضب
لفعل منهّي وترك ما يجب
يُعرف من وجنته المنورة
لأنه كان رقيق البشرة
وجاءه فتى من الفتيان
قال له : إني لذو نسيان

(١) في الأصل « لعلمه الغيب وأسرار القضا » .

فعظني بالإيجاز خوفاً للغلط

قال له : بُنِيَ "لاتغضب" فقط^(١)

* * *

يغير الهيئة كان في الغضب

لأنها لدفعه نعم السبب

فاجلس له إذا أتاك قائما

أو جالسا كنت تحوّل نائما^(٢)

عنه أتى : إذا غضبت فاسكُتِ

معناه احلم اهضم اكظم اثبت

﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾^(٣) قال فاكظمن

وان أتى كالنار يوما فاهضمن

* * *

وليك أيضا لاشديداً غضبك

ولاضعيفا ، ذاك فيه أدبك

يلزم للعاقل مقدار الغضب

لمنع رحمة لغير مستحب

(١) أخرجه البخاري (رياض الصالحين ٦٨) .

(٢) في الأصل « إن لم يغضب » .

(٣) سورة آل عمران / الآية ١٣٤ .

قيل: مَنْ اسْتُغْضِبَ إِنَّ لَا يَغْضِبُ^(١)

فكالحمار حلمه بل أغرب
وذاك من طبيعةٍ دنيّة
وذلة وقلة الحميّة
وانما محمودُهُ أن يغضبا
ويملك النفس إذا تأدبا

* * *

قالوا : ومن أطاع منكم غضبه
فإنه أضاع فيكم أدبه
فغضب الجاهل في مقالهِ
وغضب العاقل في فعالهِ

* * *

(١) يضرب المثل بالحمار في الذل . ومن ذلك قول الشاعر

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الاذلان
عير الحي والوتد وعير الحي : حمار الحي

(٢٨)

بحث

في السخاء

إِنَّ أبا القاسم فخرَ الأنبياء
 نبَعَ السخاء رأسَ كل الأسخياء
 قد كان في السخاء كالغمام
 وجوده الأكثر في الصيام^(١)
 أعطاه ربي خُمَسَ الأنفال
 لكنه لجوده المفضال
 يُقسم بين المشركين^(٢) نفلهُ
 وكان لا يأتي بشيء أهله
 ومرّ صفوان وذو الإنعام
 في ساحة غصت^(٣) من الأنعام
 فقال خذها كلها ، قال : نعم
 لم يعطِ ذا إلا نبي مُحترَم

(١) يشير إلى حديث كان أجود ما يكون في رمضان . أخرجه البخاري ومسلم . رياض الصالحين (٤٤٠) .

(٢) يقصد المؤلفه قلوبهم من غير المسلمين .

(٣) في الأصل « في شعب له » .

قدوة أرباب السخا ذو المنة
 ومن يقود الأسخيا للجنة
 قد صح عنه وهو خير الأذكيا
 بغضُ الأشحاء وحبُّ الأسخيا
 جاء : يحبُّ ربنا السامحة^(١)
 لو أنها حتى على تفاحة
 عن النبي خبرٌ صحيحُ
 في كل يوم ملك يصيحُ
 يا ربِّ أعطِ المُنفقين خلفاً
 وأعط - ربِّ - المُسكين تلفاً^(٢)
 وقال : لا تحصي فيحصي الله
 عليكِ يا حفصة في معناه
 وقال في فضل اليد العُليا
 بأنها خير من السُّفلاء^(٣)

* * *

(١) يشير إلي حديث « إن الله يحب سَمَحَ البَيْعِ سَمَحَ الشَّرَاءِ سَمَحَ الْقَضَاءِ » أخرجه الترمذي (الفتحة الكبير ١/٣٥٦)

(٢) يشير إلى حديث : ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر أعط ممسكاً تلفاً » أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) العُليا : العليا والسُّفلاء : السفلى . ومدّ المقصور سائغ في الشعر ونص الحديث (اليد العليا خير من اليد السفلى) أخرجه البخاري (رياض الصالحين ١٦٣) .

وأكثرُوا من العيال، لستم
 تدرون فيما تُرزقون أنتم
 للعبد تأتي قِسْمُ المعونةِ
 من ربه بقدر المئونةِ
 إِنَّ السَّخَاءَ سائرٌ للغيبِ
 وجالبٌ لخير ما في الغيبِ
 إن السخاء في الكريم طبعُ
 لكن سخاء البخلاء دفعُ
 وقال افلاطون في الصحيفة
 في وصفه السخاوة الشريفة :
 مِنْ فضلها أن لا تخال أحدا
 يظنّ جمع المال فيها أبدا
 ويمكن العاقل فيها ذخره
 من غير أن ينقص منه فخره
 وقال في وصف كريم الخلقة
 بأنه عطاؤه^(١) لِرَقَّةِ

(١) في الأصل « بأن يكن عطاؤه » .

لا لمباهاة يكون عاملا
لا لمكافاة يكون آملا

* * *

وحسبنا أنّ حبيب الأتقياء
قد قال : «الجنة دار الأسخيا»^(١)
وعرّفوا السخا لمن قد يبتغي
يعطي إلى [من] ينبغي ما ينبغي
وعرفوا الإيثار في المزاج :
تعطي الورى وأنت في احتياج

* * *

(١) أخرجه ابن عدي والقضاعي (الفتح الكبير ٢ / ٦٦) .

(٢٩)

بحث

في البخل

إن الجوادَ باهرَ الآثار
هو السخي صاحب الإيثارِ
جلّت عن البخل الذميمة ذاته
بالجود قد تكرمت صفاته
ويكره البخل ومن أحبه
وطالما استعاذ منه ربه

* * *

وجاء ما معناه في الآثار
وصح من تواتر الأخبار :
للجنة الفاسق من أهل السخا
أقرب حتى من تقيّ البخلا^(١)
بشرّ لمالِ البخلا بحادثِ
لا بد أن يأتيه أو وارثِ

(١) ورد في هذا المعنى حديث « السخي قريب من الله .. وفيه والجاهل السخي أحب إلى الله من عابد بخيل » رواه الترمذي والبيهقي في - والطبراني في الأوسط (سنن الترمذي ٩٦/٦ بشرح تحفة الأحوذى وفيض القدير ١٣٢/٢) .

لا يخرج الخبيثُ إلا نكِداً
 مالُ البخلِ طُعمَةٌ الى العِدا
 وجاء : إنَّ البخلَ بالموجود
 من سوء ظن العبد بالمعبود
 وشر مافي المرء شحُّ هالِعُ
 اعاذنا الله - وجُبْنُ خالِعُ
 ذو البخل قد تبغضه أولاده
 وذو السخا تحبه أصداده
 قيل : وإن البخل بالطعام
 من عادة اللئام والطغام

* * *

وقول افلاطون فيه لا غلطُ:
 يحسن في أربع حالات^(١) فقط:
 في الدين ، والحُرْم ، والحياة
 أيضاً ، وفي القتال للعداة
 غاية ما هناك قال الفضلا:
 البخل خير من سؤال البخلا
 تعريفه : الإمساك فيما قد يجب،
 عقلاً وشرعاً، بذله للمحتسب

(١) في الأصل « اشياء » .

(٣٠)

بحث

في الاقتصاد

ان السخيَّ صاحبَ التَّكْرِيمِ
 قد صح عنه القصد في التعليمِ
 ومن صفات أفخرِ الوجودِ
 ومنشأ السخاء عينِ الجودِ
 كان جوادَ الكف من غير سرف
 وواسعَ الإنفاق من غير تلف
 وإنه مع جوده وفضلهِ
 قد صحَّ عنه المنع في محلهِ
 أشار لما جاءه مُسَيْلِمَةٌ
 الى قضيب في اليد المكرَّمة
 وهو من النخل له خوصاتُ
 في الرأس منه، قالت الرواةُ
 يقولُ : لو طلبت هذا مني
 ما كنت أعطيه فولَّ عني

لأنه قد أُخْبِرَ الأمين
بكل ما يفعله اللعين

* * *

وجاء في الأخبار من هذا الصدد
كقوله: «ما عال من قد اقتصد»^(١)
وعنه أيضاً قد أتى في ذلك :
أمسك عليك البعض من أموالك^(٢)
وجاء في «مشارق الأنوار» :

كيلوا «طعامكم»^(٣) عن المختار
سيرزق الله الذي قد قَدَّرَ
قال : ويحرم الذي قد بذَّرَ

* * *

وقال أربابُ النُّهى والفضيلة:
الاقتصاد في الأمور مملكة
والقصد للنفس به وقاية
أسرع تبليغاً إلى النهاية

(١) أخرجه أحمد في المسند (الفتح الكبير ٩٦/٣) .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وهو خطاب لكعب بن مالك عندما قال : يا رسول الله ان من توبتي ان أنخلع من مالي صدقة لله وإلى رسوله (رياض الصالحين رقم ٢٣) المكتب الإسلامي .

(٣) أخرجه البخاري وأحمد في المسند، وقامه : « يبارك لكم فيه » الفتح الكبير ٣٣٧/٢ .

علاجك القليل من موجود
 ولا انتظار الواسع المفقود
 تدبيرك المال مع الكفاف
 خير من الغنى مع الإسراف^(١)
 إصلاح ما في اليد من حطام
 أحسن من مسألة اللئام
 وقال افلاطون في التعليم
 في صفة المقتصد الكريم:
 أعقل أهل الجود مع طلاقته
 هو الذي مستملك لفاقته
 يسمح فيما زاد عن عوائله
 لا بالذي ينقص من فضائله

* * *

وماكس ابن جعفر في درهم
 مع أنه أجود كل العالم

(١) كان الإمام أحمد بن حنبل يتمثل إنما بهذا البيت :

ليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد

فقال: ذا مالي به منتُ
 وذاك عقلي وبه ضننتُ
 أشفق على الدرهم ثم العين^(١)
 تنج من العيلة ثم الدين
 فالعينُ قرة الى العيون
 وقوة للظهر والمتون
 احذر إذا اتسع فيك المخرجُ
 أن لا يضيق بعد ذاك المخرجُ^(٢)
 وافتكر اليأس لما أملتُهُ
 واخرج من الباب الذي دخلتُهُ
 احذر من التقصير في الأواخرِ
 إذا قصدت رتبة المفاخرِ
 فخجلة التقصير في الأحوالِ
 تمنعُ ذا العقل عن المعالي

* * *

(١) الذهب ويقصد به الدينار، بعد أن ذكر الدرهم وهو فضة .

(٢) أي إذا توسعت وجوه الصرف (إخراج المال) ضاق على الشخص ما يصرفه بعدئذ

قالوا : ومن لم يقتصد في عمله
يموت غمّاً قبل وقت أجله
قلتُ : وشرطُ البذل عند الحزْمَةِ
دفعُ الى ضرورة ملتزمَةٍ
فكل ما أمكن يوماً عدمه
فخيرٌ ان يبقى إليك درهمه
من اشترى شيئاً بغير حاجة
باع دواماً ما إليه حاجه^(١)
حافظ على المركز حسب القوة
لا تتعداه ولو بخطوة
لأنَّ من سار بحسب العادة
إذا انتهى يمكنه الزيادة
ومن أراد مسلماً جيلاً
فليتخذ بينهما سبيلاً
ومن لكل المال كان مُتلفاً
في الخير (قالوا) لا يكون مُسرفاً

* * *

(١) في الأصل « لابد من بيع ما يحتاجه » وبذلك يختلف روي القافية .

تعريفهم في الاقتصاد المتحد

كذا أتى بأنّ طبع المقتصد

من كان لا يُذمّ في التقدير

أيضاً ولا يُمدح في التـبـذير

القصد لا منع ولا إسراف

أيضاً ولا بخل ولا إتلاف

* * *

(٣١)

بحث

في الإسراف

إِنَّ قَنُوعَ النَّفْسِ وَالْإِنْصَافِ
 نَبِيُّنَا نَهَى عَنِ الْإِسْرَافِ
 وَكَانَ لَا يَحِبُّ كُلَّ مُسْرِفٍ
 يَحِبُّ كُلَّ قَاصِدٍ وَمُنْصِفٍ
 نَهَى عَنِ الْإِسْرَافِ وَالْإِكْثَارِ
 بِالْمَاءِ حَتَّى فَوْقَ نَهْرٍ جَارٍ^(١)
 ثُمَّ مِنَ الْإِسْرَافِ مَا عَنْهُ نَهَى
 أَنْ يَأْكُلَ الْإِنْسَانُ كُلُّ مَا أَشْتَهَى
 الْجُودُ لِلْإِنْسَانِ عِزٌّ وَشَرَفٌ
 (نَعَمْ) وَلَكِنْ آفَةُ الْجُودِ السَّرَفُ
 فَغَادِرُ التَّبْذِيرِ كُلِّ آنٍ
 وَلَا تَكُنْ مِنْ إِخْوَةِ الشَّيْطَانِ^(٢)

(١) يشير إلى حديث شريف في هذا المعنى .

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ سورة الإسراء ، الآية ٢٧ .

كن سَمِحاً ولا تكن مَبْذِراً
وكن مَقْدِراً ولا مَقْتِراً

* * *

قالوا: ومن جاد بكل فلسه
فإنه جاد إذا بنفسه
لأنه جاد بما يحيا به
ولا قِوام للورى إلا به
في الصيف (قالوا) لا تضيع اللبن
فذاك في الشتاء يجلب الحزن
وما رأيت سرفاً موئعاً
إلا وحقاً عنده مضيعة
شَرذمةٌ تمدحه لبذله
وعُصبةٌ تذمه لمطله

* * *

قالوا : وكل مسرف مكار
قد أوقد الشموع في النهار
أسرع ما تراه بافتضاحه
لا زيت في الليل لدى مصباحه

كأنه ذُبالة المقياس^(١)
يحرق نفسه لأجل الناس
كأنه الإبرة إذ^(٢) تكسو الورى
وجسمها الضعيف يبقى بالعرا

* * *

تعريفه : التبذير حسب القوة
من غير حكم العقل والمروّة
أقول هذا ويدي بالمال
أسرف بل أخرج من غربال
أقذف من ناعورة لما وعت
أضيع من طاحونة لما حوت^(٣)
أحق ما جمعه كالنحلة
لا أعرف التوفير^(٤) مثل النملة
نسأله سبحانه والأمر له
بأن يرى^(٥) أخلاقنا معتدلة

(١) أي المصباح ، من القيس وهو الضوء .

(٢) في الأصل « قد » .

(٣) في الأصل « سعت » .

(٤) في الأصل « التدخير » .

(٥) في الأصل « يكن » .

(٣٢)

بحث

في الصدقة

إِنَّ كَرِيمَ النَّفْسِ أَهْلَ الشَّفَقَةِ
 وَمَنْ أَتَى بِأَمْرِنَا بِالصَّدَقَةِ
 كَانَ (نَعَمْ) عَطَاؤُهُ إِثَارًا
 لِبَاسِهِ جَادَ بِهِ مِرَارًا
 وَقَدْ أَتَى فِي صَدَقَاتِ الْمُصْطَفَى
 مَا رَدَّ قَطُّ سَائِلًا إِلَّا كَفَى^(١)
 قَالَ: «سَيُطْفِئُ غَضَبَ السَّتَّارِ
 تَصَدَّقُ السَّرَّ حَبِيبُ الْبَارِي^(٢)
 وَعَنْهُ فِي رِوَايَةٍ مُحَقَّقَةٍ:
 الْكُلُّ مِنْكُمْ تَحْتَ ظِلِّ الصَّدَقَةِ^(٣)

(١) في الأصل « عطا ».

(٢) إشارة لحديث « صدقة السر تطفي غضب الرب » أخرجه الطبراني في المعجم الصغير والبيهقي في الشعب (الفتح الكبير ٢/ ١٨٧)

(٣) إشارة لحديث « كل امرئ تحت ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » أخرجه أحمد والحاكم (الفتح الكبير ٣٢٢).

أحسنها ما كان عن ظهر غنى،
وابدأ بمن تعول»^(١) قد قال لنا

* * *

وقد أتى عن النبي الأصدق:
تداركوا الهموم بالتصدق
ليكشف الله تعالى ضرركم
ثم على عدوكم ينصركم
معنى الحديث تاجروا الرؤؤفا
بالصدقات تربحوا ألوفا
إن أبطأ^(٢) الرزق فقال المتقي:
استنزلوا الأرزاق بالتصدق^(٣)

* * *

هدية الله إلى طلابه
أن يرسل السائل نحو بابهِ
فادفعه بالإحسان لا بالحسرة
ولو بشق تمرٍ أو كسرة

(١) الحديث في البخاري بلفظ « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول » (الفتح الكبير ٩٧/٢).

(٢) في الأصل « وان بطي ».

(٣) بشير إلى حديث « استنزلوا الرزق بالصدقة » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (الفتح الكبير ٣٨/١).

وما وقى العرضَ به فصدقة،
 على ذوي القربى كذاك النفقة
 ينفع ما أنت إليه معطي
 لو أنه إلى كلابٍ أُعطي^(١)
 وكن إلى الخلق جميعاً محسناً
 وأقرض الرحمن قرضاً حسناً^(٢)

* * *

قد قال أهل العلم اتفاقاً
 إياك أن تعارض الخلاقاً
 أنك تُعطي لغنيٍ افتقر
 أكثر من قوتِ نهارٍ مختصر
 لأنَّ ربنا عظيم النعمةِ
 سبحانه أفقره لحكمةٍ
 لا تكُ في منح القليل في خجلٍ
 فإنما الحرمان من ذاك أقلُّ

* * *

(١) في الأصل « معطي ».

(٢) أي تصدقوا وهو المراد بالقرض الحسن في القرآن .

(٣٣)

بحث

في البر والإحسان

إِنَّ النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى الْعَدْنَانِي
 يَأْمُرُ بِالْبِرِّ وَبِالْإِحْسَانِ
 وَكَانَ مِنْ سُنَّتِهِ الْأَنْيَقَةِ
 الْبِرُّ وَالْإِحْسَانُ لِلْخَلِيقَةِ
 وَرَبَّنَا نَعْبُدُهُ مُمْدِّ
 مَا دَامَ فِي عَوْنِ أَخِيهِ الْعَبْدُ^(١)
 وَقَدْ أَتَى: «الْبِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ
 وَجْهٌ ضَحُوكٌ وَلِسَانٌ لِينٌ»^(٢)
 كَقَوْلِهِمْ: أَحْسَنُ إِلَى مَنْ قَدْ أَسَا
 وَاضْحَكُ إِلَى مَنْ قَدْ أَتَاكَ مُعْبَسَا
 وَانْفَعُ وَلَا تَوْسِ فَخَيْرُ النَّاسِ
 مَنْ يَنْفَعُ النَّاسَ وَلَا يُوَاسِي^(٣)

(١) يشير إلى حديث « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » أخرجه البخاري ومسلم وهو جزء من

الحديث الذي أوله : من نفس عن مؤمن (رياض الصالحين رقم ٢٥٠) المكتب الإسلامي .

(٢) يشير إلى حديث « خير الناس أنفعهم للناس » أخرجه القضاعي (الفتح الكبير ٩٨/٢) .

(٣) أي لا يسبب للناس الأسى أي الحزن .

وساعد الإنسان بالمقالِ
 إن لم تكن مساعداً بالحالِ
 واسعَ إلى إغاثة الملهوفِ
 وقابل المعروفَ بالمعروفِ

* * *

قالوا ومن ليس له إحسانُ
 فإنه ليس له إخوانُ
 صنائعُ المعروفِ للبرايا
 تقي الفتى مصارع البلايا
 السَّبْعُ إن اشبعته لايجرْحُكُ
 والكلْبُ إن تحسن له لا ينبْحُكُ
 والمرءُ مطلوب بما يمكنهُ
 وقيمة الإنسان ما يُحسنهُ

* * *

(٣٤)

بحث

في العفو

إِنَّ النَّبِيَّ ذَا الْخِصَالِ الصَّالِحَةِ

ذَا الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ وَالْمَسَامَحَةِ

قَدْ كَانَ يَعْفُو كَرَمًا وَيَصْفَحُ

وَكَانَ يَعْفُو دَائِمًا وَيَسْمَحُ

وَطَالَمَا قُرِيشٌ قَدْ آذَوْهُ

وَأَخْرَجُوهُ ثُمَّ قَاتَلُوهُ

صَدَّوْهُ عَنْ حَاجِّ وَهْمِ أَلُوفٍ

ظَلَمًا لَهُ وَهَدِيَّةً مَعَكُوفٍ

مَنْ بَعْدَ ذَا عَامَلَهُمْ بِالصَّفْحِ

وَقَالَ: «لَا تَثْرِيْبُ» يَوْمَ الْفَتْحِ

يُخْلَفُ مَا أَوْعَدَ يُوْفَى مَا وَعَدَ

كَعْفُوهِ عَنْ كَعْبٍ لَمَّا أَنْ قَعَدَ^(١)

(١) يقصد كعب بن مالك ، وحديث توبته في رياض الصالحين الرقم (٢٢) و (أوعد) للوعيد بالشر ، و (وعد) للوعد بالخير

وابن أبيّ قد عفا عن فعله
وابنه استأذنه في قتله^(١)
وكان للرسول من أعدى العدا
وللمنافقين كان سيّدا
من بعد هذا عادة لما مرض
وبالقميص برّه لما قبض
ثمّ القميص كفّوه فيه
وصلى في أصحابه عليه
لأجله النهي من الله ورد
أن لا تصلّ منهم على أحد^(٢)
عن المنافقين ماذا الصفح؟
من بعد إفكهم وماذا النصح؟

* * *

نرجو إله العرش^(٣) يعفو عنا
العفو منه والخطايا منّا

(١) يقصد عبد الله بن أبي سلول ، حين آذى النبي ﷺ .

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ سورة التوبة الآية ٨٤

(٣) في الأصل نرجوه أيضاً ، بحيث يكون عود الضمير للرسول ﷺ .

وفي الحديث: واعفُ عمن ظلمك
تكرماً، وأعطِ من قد حرَمَكَ
وأنَّ خيرَ الصفح عفوُ المقتدر
وأحسنُ السخاءِ جودُ المفتقر
مَنْ يتتبع أصغرَ الذنوبِ
يُحرم من مودة القلوبِ
والخلقُ إن طال لهم عتابك
يهون في أعينهم إغضابك
وإن عفوت لا تُقرَّع بالجفأ
بالذنب مَنْ قرَّع فهو ما عفا
فالمرءُ يخطي^(١) والجواد يكبو
والصارمُ الباترُ حيناً^(٢) ينبو

* * *

(١) في الأصل « يجنو » .

(٢) في الأصل « بعضا » .

(٣٥)

بحث

في الرحمة

إِنَّ الرَّحِيمَ طَاهَرَ الْفَوَادِ
 سَيِّدَنَا الشَّفِيقَ بِالْعِبَادِ
 قَالَ: اَرْحَمُوا غَنِيِّ قَوْمٍ افْتَقَرُوا
 وَأَكْرَمُوا عَزِيزَ قَوْمٍ احْتَقَرُوا^(١)
 حَسْبُكَ مِنْ رَحْمَةِ خَيْرِ الْأُمَمِ
 إِرْسَالُهُ لِلْعَالَمِينَ رَحْمَةً
 وَكُلٌّ مِنْ فِي الْأَرْضِ فَارْحَمُوهُ
 يَرْحَمُكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَادْعُوهُ^(٢)
 الرَّاحِمُونَ لَا يَرَوْنَ بُؤْسًا
 سِيرَتُونَ الْأَرْضَ، قَالَ عِيسَى

* * *

(١) يشير إلى حديث اسانيداه واهية، وإنما يوف من كلام الفضيل بن عياض وهو : ارحموا عزيز قوم زل، وغنياً افتقر، وعالمًا بين جهال « (كشف الخفاء ١١٥) .

(٢) في الأصل « تدعوه » والحديث « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد أبو داود والترمذي صححه الحاكم، وله شواهد في الصحيحين (كشف الخفاء ١٠٩) .

قلت : وإنَّ رحمة الفؤاد
واجبةٌ حتى على الجمادِ
على الصديق وعلى العدو
وكُلِ ذي روح وذي نُموٍّ

* * *

وعرّفوا الرحمة في الحقيقة:
إزالة الضرر عن الخليقةِ
والرقة التأذي في الفؤاد
من الأذى اللاحق للعبادِ

* * *

(٣٦)

بحث

في المروءة

إنَّ الذي به الورى قد اهدتْ
ومن به أهل المروءة اقتدتْ
قد كان (قالوا) خاتم النبوة
في الغاية القصوى من المروءة
وهي مراعاتك للأحوال^(١)
بأنها تصدر بالكمال
لايصدرُ القبيح فيها عامدا
والذم لايلقى لها موارد
وانها اسم جامع في أصلها
إلى محاسن الطباع كلها
وإن أردت تدري ما المروءة
قد قال أهل الفهم والفتوة

(١) في الأصل « وهي مراعاة إلى الأحوال » .

للنفس تلك رغبة صدّاقة
 في النفع للناس بحسب الطاقة
 وإنما الداعي إلى المروّة
 شيئان عند صاحب الفتوة
 فهمّة عالية رفيعة
 ونخوة في النفس والطبيعة

* * *

وقال أهل العقل والفتوة
 في الفرق بين العقل والمروّة:
 يأمرُ ذا بأنفع الأشياء
 وهذه بأجلّ الشاء
 في وصفها قد قيل باختصار:
 أن تحمل المكروه إذ تداري^(١)

* * *

(١) في الأصل « حملك للمكروه بالمدارا » .

(٣٧)

بحث

في الحياء

إِنَّ الْحَبِيبَ الْهَاشِمِيَّ الْأَبْطَحِيَّ
 نَبِينَا هُوَ الْكَرِيمُ الْمُسْتَحْي
 وَوَصَفَهُ فِي شِدَّةِ الْحَيَاءِ
 فِي خَدْرِهَا أَحْيَا مِنَ الْعِذْرَاءِ
 وَكَانَ لَا يُثْبِتُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ
 عَيْنِيهِ مِنْ عُظْمِ الْحَيَاءِ، كَذَا وَرَدَ
 يُبْغِضُ رَبَّنَا الْوَقَّاحَ الْمَلْحَفَا
 وَيَحْمَدُ الْحَيَّ^(١) وَالْمُسْتَعْفِفَا
 وَجْهَ الْفَتَى زَيْتُهُ حَيَاؤُهُ
 وَكُلَّ غَصْنٍ حُسْنُهُ لِحَاؤُهُ
 إِنَّ الَّذِي صَاغَ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ
 يَسْتَرُ عَنْ كُلِّ الْأَنَامِ عَيْيَهُ
 إِنَّ الْحَيَا مَمَزَقَ إِلَى الْحَشَا
 إِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَحْي فَافْعَلْ مَا تَشَا

(١) في الأصل « نعم يحب الحيي » .

ما تستحي من ذكره علانية
 في السر لاتفعله مثل الزانية
 من استحي من القبيح في الملا
 وما استحي من نفسه إذا خلا
 فاعلم بأن ذلك البهيمة
 ليس إلى النفس لديه قيمة

* * *

يزعمُ أهل الحزم باتفاق
 أن الحياء مانع الأرزاق
 لا تستح مما يضر نفسك
 بل استح مما ينافي حدسك
 من استحي من بنت عمه فقد
 قال العوام: ليس يأتيه ولد

* * *

إنَّ الحياء حَصْرَ نفس المُستحي
 خوفاً من ارتكابه للمُفْضَحِ

* * *

(٣٨)

بحث

في التغافل

إِنَّ الرُّسُولَ سَاتَرُ الْعُيُوبِ
 وَشَافِعَ الزَّلَّاتِ وَالذُّنُوبِ
 قَدْ كَانَ مِنْ أَخْلَاقِهِ الْجَمِيلَةِ
 يَغْضُ طَرْفَهُ عَنِ الرَّذِيلَةِ

* * *

لَهُ تَغَافُلٌ لَمَّا لَا يَشْتَهِي
 إِلَّا الَّذِي فِي النَّصِّ عَنْهُ قَدْ نَهَى^(١)
 قَالُوا : وَثَلَّثَ الْكَرَمِ التَّغَابِي
 فَأَقْصَرَ الطَّرْفَ عَنِ الْمَعَابِ
 وَسَامِعُ الْفَحْشَاءِ إِنْ أَفْشَاهَا
 فَإِنَّهُ مِثْلُ الَّذِي أَتَاهَا^(٢)

(١) ومما يستحسن من الأشعار في ذلك قوله بعضهم :

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

(٢) قال عثمان بن زائد العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في التغافل .

(٣٩)

بحث

في الإخلاص

إِنَّ التَّقِيَّ قَدْوَةُ الْخَوَاصِ

هو النقيّ جذوة الإخلاصِ

قال: اخلصوا النية بالخيراتِ

فإنما الأعمال بالنيات^(١)

فاعلم بأن سيد الخواص

يأمر بالصدق وبالإخلاصِ

والمخلصون (قال) هم على حذر

فكيف مَن سِوَاهُمُ من البشر

وعن عليّ جاء في الإخلاص

سرٌّ من الله إلى الخواصِ^(٢)

* * *

(١) يشير إلى حديث « إنما الأعمال بالنيات » أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) في الأصل : سرّ يضعه الله في الخواص .

صدقك في الباطن والخواطر
يريك ما تحبه في الظاهر
فأخلص النية والإرادة
يكفيك ما قلَّ من العبادة
لله كُل واشرب ولا تبالِ
والبس له وأخلص بكل حالِ
وكل ما خالطه تفاخرُ
فهو رياء أنت فيه خاسرُ

* * *

(٤٠)

بحث

في الرياء

إِنَّ حَبِيبَ الْمَخْلَصِينَ الْيَشْرِبِي
 قَرَّةَ عَيْنِ الصَّادِقِينَ الْعَرَبِي
 كَانَ يُحِبُّ الصَّدَقَ فِي الْأَشْيَاءِ
 وَيَكْرَهُ الرِّيَاءَ وَالْمَرَائِي
 وَصِدْقُهُ جَلٌّ عَنِ الْمَعْرِفِ
 قَدْ وَصَفَ الرِّيَاءَ بِالشَّرْكِ الْخَفِيِّ
 حَجَّ عَلَى رَحْلِ رَثِيثٍ خَلَقِ
 وَكَانَ لَيْسَ يُشْتَرَى بِدَانِقِ
 يَقُولُ: يَافِرْدُ بَلَا شَبِيهِ
 اجْعَلْهُ حَجًّا لَرِيَاءٍ فِيهِ^(١)

* * *

(١) أخرجه ابن ماجه بلفظ « حج النبي ﷺ على رحل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم أو لا تسوى ثم قال : اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة .

لا يَقْبَلُ الرَّحْمَنُ مِنْكَ عَمَلًا
 وفيه مثل ذرةٍ من الريا
 ويلٌ لمن أرضى الورى لسانا
 والقلبُ منه أسخط الرحمانا
 وقد روينا عن علي المرتضى
 فعلك لا تنوبه سوى الرضا^(١)
 والخيرُ لا تفعله للرياءِ
 أيضاً ولا تتركه للحياءِ^(٢)

* * *

وعرّفوا الرياءَ: فعلٌ أُخروي
 يقصد منه كل نفعٍ دنيوي

* * *

(١) أي : رضا الله تعالى .

(٢) قال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما (الأذكار للنووي) .

(٤١)

بحث

في الشكر

إِنَّ النَّبِيَّ الْقَانِعَ الصَّبُورَا
 كَانَ رَضِيًّا حَامِدًا شَكُورَا
 يَحْمَدُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
 يَشْكُرُ فِي الْبَلَوِ وَفِي النِّعْمَاءِ
 وَحَمْدُهُ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُذْكَرَا
 وَشُكْرُهُ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُشْهَرَا^(١)
 وَقَالَ: بِالشُّكْرِ تَدُومُ النِّعْمُ
 تَدُومُ أَيْضًا وَيَزِيدُ الْكِرْمُ^(٢)
 جَاءَ: انْظُرُوا إِلَى الَّذِي مَنْ تَحْتَكُمْ
 لَا تَنْظُرُوا إِلَى الَّذِي فِي تَحْتَكُمْ^(٣)
 فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدُرُوا
 نِعْمَاءَهُ عَلَيْكُمْ فَتَكْفُرُوا

(١) في الأصل « يشكر » .

(٢) الحديث لم أجده .

(٣) الحديث « انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله

عليكم » أخرجه البخاري ومسلم (رياض الصالحين رقم ٤٧١ ط المكتب الإسلامي) .

والتخت السرير، ويستخدم لسرير الملك .

فكم زمانٍ قد ذمتموه
فجاء غيره مدحتموه

* * *

من لم يكن يشكر فضل الناس
لم يشكر الله عظيم الباس
لأنَّ من لم يعرف القليلا
لم يعرف الكثير والجزيلا
واشكر لمن في عمره أنعم لك
أنعم إلى كل امرئٍ قد شكرك
أكثر من الشكر لدى السعادة
فإنه يستوجب الزيادة

* * *

وعرّفوا الشكر: انبعث الجارحة
جميعها بالحركات الصالحة

* * *

(٤٢)

بحث

في الحرص والقناعة

إنَّ النبي صاحب الشفاعة

قد كان من سنته القناعة

قال: اعملوا في طلب الأرزاقِ

فالرزق في خزائن الرزاق^(١)

قد عُرِضَتْ لذاته الجبالُ

والكلُّ منها ذهبٌ ومالٌ

أعرضَ عنها ودعا عفافا

بأن يكون رزقه كفافا

يشبع يوماً ويجوع يوماً

ويوما افطارا ويوماً صوماً^(٢)

(١) نص الحديث « أعملوا في طلب الدنيا فإن كلا ميسر لما كتب له » أخرجه ابن ماجة والحاكم والبيهقي (الفتح الكبير ٤٥/١) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٥٤/٢ والترمذي قوله ﷺ : عرض علي ربي عز وجل يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً - أو نحو ذلك فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبع حمدتك وشكرتك وهو حديث ضعيف (فيض القدير ٣١٢/٤)

عن عائشة: كان يمرُّ الشهرُ
لا توقد النارُ ويغلي القدرُ

* * *

إن هو الا التمرُّ ثم الماءُ
هو الغداء وهو العشاء^(١)
وكلَّ حرٍّ فهو عبدٌ إن طَمِعَ
وكل عبد فهو حرٌّ إن قَنِعَ
وجاء في أمثالهم: من قد شره
فإنه يقع فيما قد كَرِهَ
ازهد بمن شئتَ تكن نظيرُهُ
وارغب لمن شئتَ تكن أسيرُهُ
وكل من قد كان عنك معرضاً
فلا تكن أنت له مُعترضاً
قالوا: ومَنْ أَمَّلَ شخصاً هابَهُ
والشيء مَنْ يقصر عنه عابهُ
إنَّ الذي يطلب ما لا يَعْنِي
لا بُدَّ أن يفوته ما يَعْنِي

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧١/٦) عن عائشة رضي الله عنها : كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوت رسول الله ﷺ .

وبعضهم قال وقد أصابا:
 الرزق إن جاء يدقُّ البابا
 إنَّ الذي أوجدني من عدمٍ
 حَضَرَ رزقي قبل أن شق فمي
 نصيبك المقدورُ لكُ^(١) يصيبك
 لا أحد يعطي ولا يخيبك
 لا ترج (كيوان)^(٢) ولا تخش الفلك
 لا بد أن يأتيك ما قُدِّر لك
 العزَّ والرحمة في (القناعة)
 وعكسها في الأنفس الطماعة
 في وصفها قد جاء هذا المعنى
 بأنها: كنزٌ وليس يفنى

* * *

كل قنوع جاءه المقسومُ
 كل حريص فهو المحرومُ
 ولا تقل: حظي ورزقي قاصرُ
 فهو على من سيموت وافرُ

(١) في الأصل « قد » !

(٢) يقصد التنجيم . وكيوان : هو اسم لِرُحْل (القاموس المحيط، مادة كون) .

إن أنت لم تقنع فما في الأرضِ
 لم يك كافيك وليس يُرضى
 وإن قنعت بعضُ شيء كافٍ
 فلتحمل^(١) النفس على العفافِ
 والرزق لا يزيد بالصراخ
 أيضاً ولا ينقص بالتراخي

* * *

(١) في الأصل « فاحمل » ولا يستقيم الوزن إلا بجعل همزة الوصل همزة قطع (فاحمل) .

(٤٣)

بحث

في الصبر

إِنَّ إِمَامَ الصَّابِرِينَ الْقُرْشِيَّ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ صَبْحاً وَعَشِيَّ
 مِنَ الصِّفَاتِ فِيهِ: كَانَ صَابِراً
 وَكَانَ مَأْمُوراً بِهِ وَأَمِيراً
 وَالصَّبْرُ مِنْ أَخْلَاقِهِ قَدْ انْتَشَرَ
 وَصَبْرُهُ مِنْ فَوْقِ طَاقَةِ الْبَشَرِ
 كَصَبْرِهِ عَلَى أَذَى الْكُفَّارِ
 وَلَيْسَ يَدْعُو اللَّهَ بِالْدمَارِ
 يُوْذِنُهُ بِأَعْظَمِ النِّكَايَةِ
 وَهُوَ يَرْجُو لَهُمُ الْهُدَايَةَ^(١)
 يَقُولُ: «أَنَا بَعْتُ رَحْمَةً»
 وَمَا بَعْتُ لَاعِناً لِلْأُمَّةِ^(٢)

(١) في الأصل « وهو لهم يستدعى بالهداية » !؟

(٢) يشير إلى الحديث « ان الله لم يبعثني طعانا ولا لعانا ولكن بعثني داعياً ورحمة الله لهم أهد قومي فإنهم لا

يعلمون » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (الفتح الكبير ١ / ٣٤٣)

قال: ﴿يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ﴾^(١)

أيضاً يُسهل الإله أمرهم
لاتدركون ماتحبون سوى
بالصبر عما تكرهون والهوى
والصبر صبران: على الكريه،
كذلك عما أنت تشتهيه
صبراً على أهوالها ولا ضجر
فربما فاز الفتى إذا صبر
الصبر في تجرّع إلى الغصص
وفي انتظار لظهورات الفُرص

* * *

والصبر فاستعمله عند الخطر
فإنه مطية للظفر
قد جعلوا الصبر شبيهاً بالدرج
يصعد راقيه إلى قصر الفرج
لا يجزع العاقل من مهمّة
ولو أتت دهاء مدلهمة

(١) سورة الزمر الآية / ١٠

لكنه يعلو على البلواء
 بالصبر والتدبير والآراء
 واصبر فإن النُّجح عند الأكثرِ
 يذهب بين العجز ثم الضجرِ
 لا عاقلٌ من ضاق في عسرتِه
 صدراً لمن لا بُدَّ من عسرتِه
 قالوا: ومن لم يصطبرْ لِكَلِمَةٍ
 يسمع أيضاً كلماتٍ مؤلمة

* * *

صبرك للسفيه في جهالتِه
 ولا تجليك له بحالتِه
 ذو الجهل إن لم تعطه جواباً
 حُسبك قد أوجعتَه عقاباً

* * *

الصبرُ: حبس النفس عند الجزعِ
 والحرب: صبر النفس حين الفرعِ

* * *

(٤٤)

بحث

في التسلي

إِنَّ الَّذِي الرَّبُّ لَهُ تَجَلَّى

وهو به عن غيره تسلى

ما كان للعنيا بذي احتفال

بالحق عنها كان في اشتغال

جاء: انظروا إلى ذوي القبور^(١)

إذا تحيرتم لدى الأمور

وهوّن الأمر يهون الأمر لك

ليس لك الأمر وليس للفلك

* * *

واللهُ إِنَّ لِعَبْدِهِ أَحَبًّا^(٢)

صَبَّ بِلَاءِهِ عَلَيْهِ صَبًّا

(١) في الأصل « استعينوا إلى ذوي القبور » .

(٢) في الأصل « إِنَّ كَانَ لِلَّهِ بَعِيدَ حَبًّا » .

فِعْلَةٌ أَوْ قَلَّةٌ أَوْ ذَلَّةٌ،
لِلْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ أَدَلَّةٌ
وَحَادِثُ الدَّهْرِ إِذَا أَلَمَّا
فَلَا تَضَعِ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ غَمًا
لَا غَمٌّ لَأَسْرُورَ يَبْقَى فِي أَحَدٍ
وَقَالَتْ: الْأَعْجَامُ (أَبْدِيكَدَرْدُ) ^(١)

* * *

(١) معناه : لاهمّ بدوم .

(٤٥)

بحث

في التوكل

إِنَّ حَبِيبَ اللَّهِ ذَا التَّسْلِيمِ
 ذَا الصَّدَقِ وَالتَّوَكُّلِ الْعَظِيمِ
 قَدْ كَانَ مِنْ سُنَّتِهِ التَّوَكُّلُ
 وَالصَّبْرُ وَالرِّضَاءُ وَالتَّحَمُّلُ
 كَانَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي ثِقَةٍ
 مَا كَانَ شَأْنُهُ ^(١) ادَّخَارَ النِّفْقَةَ
 لَمْ يَدَّخِرْ قَطُّ لِأَهْلِ دَارِهِ
 أَكْثَرَ مِنْ قُوْتٍ إِلَى نَهَارِهِ ^(٢)
 لَقَدْ أَتَى: مَا خَابَ مِنْ تَوَكُّلَا
 وَاللَّهُ بِالرِّزْقِ لَقَدْ تَكْفَلَا
 قَالَ: «اعْقِلِ النَّاقَةَ» لِلْأَعْرَابِي
 «ثُمَّ تَوَكَّلْ» صَادِقُ الْخَطَّابِ ^(٣)

(١) في الأصل « فيه » .

(٢) بل ثبت أنه ﷺ كان يدخر قوت سنة لأهله .

(٣) أخرجه الترمذي « أعقلها وتوكل » (الفتح الكبير ١/٢٠١) .

ومن غدا يسخط من دنياء
 كأنها يسخط من مولاه
 الله حسبي في جميع أمري
 به غناي وإليه فقري
 رحمته هطالة علينا
 أرحم من أنفسنا إلينا
 أرحم للإنسان من آبائه
 وهو له أقرب من أعضائه
 يستفقد المخلوق بالسكينة
 وليس ينسى كلبة مسكينة
 يحفظ للظالم قصر داره
 لأجل عصفور على جداره
 ليس بمخلف تعالى وعده
 قال ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾
 جاء: وإن ربنا ذو غيرة
 يغار من عبد يُرجي غيره

ثم^(١) يجازيه بعكس ما انتظر
من حيث ما أَمَلَّ قد يلقي الضرر
قلت: وقد شاهدتها مرارا
وذقت ممن أرتجى مَرارا
يرزقنا من حيث لانتسب
كي ندري أن العبد لا يكتسب

* * *

(١) في الأصل « أليس » والتعديل لموافقة الآية ٣٦ من سورة الزمر

(٤٦)

بحث

في السعي والأسباب

إِنَّ الَّذِي كَانَ بِنَا رَحِيمَا
 وَفَعَلَهُ كَانَ لَنَا تَعْلِيمَا
 قَدْ صَحَّ عَنْهُ وَهُوَ سَيِّدُ الْوَرَى
 آجَرَ وَاسْتَأْجَرَ بَاعَ وَاشْتَرَى
 وَكَالَةَ إِعَارَةَ مَشَارَكَةَ
 وَارِدَةَ فِي السَّنَنِ الْمُبَارَكَةِ
 وَالرِّزْقَ بِالْأَسْبَابِ وَالْأَدْلَةَ
 كَقَوْلِهِ : هُزِّي بِجَذَعِ النَّخْلَةِ^(١)
 هَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بِلَا جَنَاحٍ
 هَلْ يُفْتَحُ الْبَابُ بِلَا مِفْتَاحٍ
 قُلْتُ : الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يَفْلُجُ
 وَالطَّيْرُ بِالطَّيْرِ لَقَدْ يَسْتَخْرِجُ
 قَالَ الْحَرِيرِيُّ ، وَنَعَمْ مَا كَتَبَ :
 مِنْ جَالٍ نَالَ ، مِنْ طَلَبٍ فَقَدْ جَلَبَ

(١) إشارة لقوله تعالى لمريم ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ سورة مريم الآية ٢٥

قالوا: ومن لم يحترف لم يعتلف
لا بدّ يوماً حاله أن يختلف
قالوا: ومن لم يركب الأهوالا
لم ينل الثروة والأموالا
والشغل إن كان إليك يُجهّد
فاعلم إذاً أن الفراغ مُفسدٌ

* * *

وفي الفراغ قال أصحاب الحكم
بيتاً شهيراً مثل نارٍ في علم^(١)
«إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَّةَ
مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسدة»

* * *

وقيل في الحثّ على جهد الطلب:
إشارك الراحة يأتي بالتعب
ما سهري إلا لطول رقتي
ما تعبني إلا لطول قعدتي

(١) في الأصل :

اشهر هذا البيت صار من علم !

وفي الفراغ قال أهل للحكم
ولا يخفى التعقيد الذي استوجب التعديل .

البيت من
أرجوزة الأئمة
لأبي العتاهية

قيل: استعن بكثرة الإبرام
على الأمور ثم بإلّاقدام
فاسع ولا تمل الى الوسادة
ولا تكن كسلان ذا بلادة
لا ترض أن النمل منك انفع
في صيفها إلى الشتاء تجمع

* * *

(٤٧)

بحث

في الإقدام

إِنَّ النَّبِيَّ كَانَ فِي الْإِقْدَامِ
عَلَى الْأُمُورِ ثَابِتَ الْأَقْدَامِ
وَهُوَ مَقِيمُ الدِّينِ ذُو الْفَتْوَةِ
وَنَاصِرُ الْحَقِّ شَدِيدُ الْقُوَّةِ
قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ عَلَى الْإِقْدَامِ
سَيِّدُنَا مِنْ أَجْرَأْ^(١) الْأَنَامِ
عَلَيْكَ بِالْجُرْأَةِ، جَاءَ فِي الْخَبَرِ
فَإِنَّهَا أَيْضاً مِنْ أَسْبَابِ الظَّفَرِ
قَالُوا: وَإِنَّ الْغُنْمَ بِالْإِقْدَامِ
وَأَمَّا الْخِيَةِ فِي الْإِحْجَامِ

* * *

(١) في الأصل « من أخبر » !

الحاكم
القائم
على
الضريبة
وقوله
في
المقام
الأساسية
ص ٥٤

حَتَّ الحَرِيرِيُّ عَلَى الإِقْدَامِ

قال ولو كان^(١) على الضرغامِ

وقال: إن جرأة الجنان

تطلق منك عقدة اللسان

وقوله: من هاب خاب واعتسر

وقوله: أيسرَ كُلُّ^(٢) من جسر

* * *

(١) في الأصل « يكن » !

(٢) في الأصل « من كل » !

(٤٨)

بحث

في الإهمال والتواني

إِنَّ الرُّسُولَ صَادَقَ الْإِرَاءَةَ
 ذَا الصَّبْرِ وَالتَّمَكِينِ وَالْأَنْعَاءِ
 قَدَكَرَهُ^(١) التَّسْوِيفَ (كَانَ) فِي الْعَمَلِ،
 كَمَا اسْتَعَاذَ رَبَّهُ مِنَ الْكُسَلِ^(٢)
 وَقَالَ فِي الْعَجْزِ، احْتِرَاساً مِنْهُ
 إِنَّكُمْ لَتُسْأَلُونَ عَنْهُ^(٣)
 إِنَّ الْمُسَوِّفِينَ هُمْ فِي هَلَكَةٍ
 وَالْهَمَةُ الْعِلْيَاءُ نَعَمَ الْمَلَكَةُ
 قَدْ أَنْكَحُوا الْعَجْزَ إِلَى التَّوَانِي
 فَأَنْتَجَا وَلَادَةَ الْحَرَمَانِ
 وَأَنْكَحُوا الْخُمُولَ وَالْحِمَاقَةَ
 فَأَنْتَجَا نِدَامَةً وَفَاقَةً

(١) في الأصل « يكره ».

(٢) يشير لحديث « اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل » أخرجه مسلم (رياض الصالحين رقم ١٤٨٢) .

(٣) أخرجه أبو داود (٢٨١ / ٢) حديث « ان الله تعالى يلوم على العجز، ولكن عليك بالكَيْس، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل ».

قال الألي: البركة في الحركة
 وأجمعوا أن التواني مهلكة
 يستظهر العدو كل آن
 على الفتى من غفلة التواني
 قد وصف الفقر أولو المعاني
 أن أباه العجز والتواني
 إن التواني بئس من رفيق
 مضيع للحزم والحقوق
 وفي كلا الدارين رأس الخيبة
 تباً له فلست أحصي عيبه
 لكننا الجهد بلا أوان
 شرُّ على المرء من التواني

* * *

(٤٩)

بحث

في العجلة

إن الرزَيْنَ الكامل الرسولا
ماكان طياشاً ولاعجولا
قد كان لايجب فعل العجلة
إن الأناة عنده مُفضلة^(١)
إياك والعجلة فهي العطبُ
(أمّ الندامات) تسمّيها العربُ
كلُّ عجول خائب معنّى
ومن تأنى نال ما تمنّى
لأنها مفسدة للمشغلة
وأصلها النقصان في المخيلة
تستخرج الأفعال وهي فجّة
من قبل أن تنضجها بالحجّة،

(١) في الأصل « وعنده الأناة المفضلة » .

في خمسة (قالوا) تُحَبِّ العَجلة :

(١) أولها زواج بنت مُهملة

(٢) وفي قِرى ضيفِ أتى للبيتِ

(٣) ومثلهُ تعجيلُ دفن الميتِ

(٤) أيضاً وتعجيلُ أداء الفرضِ

(٥) كذا وفاء الوعدِ، ثم القرضِ

* * *

(٥٠)

بحث

في الفرصة

إِنَّ التَّهَامِيَّ صَحِيحَ الْقَصَصِ
قد حثنا على انتهازِ الْفُرْصِ
أَوْهَا سَعْيُكَ فِي الثَّوَابِ
قبل مرور فرصة الشبابِ
أَيْضاً وَعَنْ شَفِيعِ يَوْمِ الْبَعْثِ
ترجعتُ مامعناه من ذا الْبَحْثِ:
من فتحت لديه باب نعمةٍ
فلينتهز فرصته بالهمةِ
فإنه لا يدري بالصوابِ
متى يُسَدُّ عنه خير الباب^(١)

* * *

(١) هذا المعنى ورد في حديث شريف .

قال الألي: إذا أصبت فالزم
 وبعدها اذا وجدت فاغنم
 وكل تأخير له آفات
 وكل عزم فله بدوات^(١)
 وفرصة الدهر بلا إياب،
 سريعة تمر كالسحاب
 من آخر الضربة حين بأسه
 فسوف تأتيه غدا برأسه
 ولا تدع شغل النهار لغد
 وبأشر الأمر بقلب جلد
 رأيت في (الصادح ثم الباغم)^(٢)
 ذا البيت فاتخذته للحازم:
 وانتهاز الفرصة إن الفرصة
 تعود إن لم تنتهزها غصة

(١) أي تردد حيث يبدو للإنسان تغيير ما عزم عليه .

(٢) الصادح والباغم هي منظومة على أسلوب كليله ودمنة، بلغت ٢٠٠٠ بيت، ألفها أبو يعلى محمد بن محمد ابن الهبارية الهاشمي العباسي البغدادي المتوفى ٥٠٩ هـ وهي تتكون من قصائد وارجيز، وقضى في نظمها ١٠ سنين وقدمها للأمير سيف الدولة ابي الحسن صدقة بن دبيس .

أولها : الحمد لله الذي حباني ٠٠ بالأصفرين القلب واللسان
 وذكر أولاً باب الناسك والفاتك ومناظرتهم، ثم باب البيان ومفاخرة الحيوان، ثم باب الأدب (كشف
 الظنون ١٠٦٩/٢)

(٥١)

بحث

في الشجاعة

إِنَّ جَسُورَ الْقَلْبِ ذَا الشَّجَاعَةِ
 وَمَنْ أَتَتْهُ الْخَلْقُ بِالْإِطَاعَةِ
 نَبَّيْنَا أَقْوَى الْوَرَى سُلْطَانَا
 أَثْبَتُهُمْ أَشْجَعُهُمْ جَنَانَا
 وَعَنْ عَلِيٍّ أَسَدِ الْعِبَادِ
 قَدْ قَالَ: كُنَّا نَحْنُ فِي الْجِهَادِ
 نَلْجَأُ لِلرَّسُولِ عِنْدَ الشَّدَةِ
 فَيَدْرَأُ الْكُفَّارَ عَنَّا وَحْدَهُ ^(١)
 مَا رَأَاهُ أَحَدٌ مُقَفِّيًا
 جَلَّ عَنْ الْفِرَارِ فَخَرُّ الْأَنْبِيَا
 بَلْ طَالَمَا الْكُفَّارَ وَلَّوْا هَرْبًا
 وَهُوَ يَصِيحُ فِي قَفَاهُمْ طَرْبًا

(١) يشير لقول علي رضي الله عنه : كُنَّا إِذَا حَمَى الْوُطَيْسَ نَتَّقِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

بقوله: «أنا الرسول لا كذب»

وقوله: «أنا ابن عبد المطلب»^(١)

جاء: يحب ربنا الشجاعة

ولو بقتل حيّة لسّاعة

يحب ربنا (يقول الهادي)

كلّ غيورٍ الطبع في العباد^(٢)

قالوا: تواضعوا لمن قد أحسنا

وانتصفوا ممن أسا ومن جنى

هذا ولو كان الغلام الحبشى

وذاك لو كان الرئيس القرشي

وثبت النفس على الشجاعة

شجاعة الإنسان صبر ساعة

وحقك استخلصه من أصحابه

ولو حواه أسد في نابيه

كن للعدو مثل ليث عاد

وللصديق مثل غيث غاد

(١) في غزوة أحد حين تراجع الجيش وظل عليه السلام في قلة من أصحابه ومن هذا شأنه يخفي نفسه لكنه رفع بهذا الرجز صوته من شجاعته عليه الصلاة والسلام .

(٢) يشير إلى الحديث « ان الله يحب من عباده الغيور »، أخرجه الطبراني في الأوسط (الفتح الكبير/١/٣٥٧).

(٥٢)

بحث

في العزة والشهامة

إِنَّ النَّبِيَّ صَاحِبَ الْكَرَامَةِ
 وَمَنْ لَهُ الْعِزَّةُ وَالشَّهَامَةُ
 هُوَ الْعَزِيزُ نَوْرُ رَبِّ الْعِزَّةِ
 وَاللَّهُ فِي الدَّارَيْنِ قَدْ أَعَزَّهُ
 وَالنَّفْسَ صُنْهًا، عَزَّ مَنْ أَجَلَّهَا
 جَاءَ: أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ أَذَلَّهَا
 يَكْرَهُ سَفْسَافَ الْأُمُورِ الرَّبُّ
 لَكِنْ لِأَعْلَاهَا إِلَيْهِ حُبُّ

* * *

ان رمت عزاً فدع المطالبا
 عَزَزْتَ مَطْلُوباً ذِلَّتَ طَالِباً
 لَا عِزَّ مِنْ إِهْنًا أَذَلَّهُ
 أَيْضاً وَلَا ذَلَّ الَّذِي أَجَلَّهُ

من لم يكن كالذئب في الشهامة
تأكله الكلاب لا كرامة
إن كنت حراً فاختر المنايا
تجرّعا وغادر الدنيا
الحر لا يذل للصعاب
أيضا ولا يدرّ بالعصا

* * *

وقال أهل الفضل والبيان
حب المديح عادة الإنسان
وذا مثاَلُ عزٍّ من أرسله :
النار للحر ولا العار له
وكسرةٌ بعزة وجلّة
أطيب من فالودج بذلة

* * *

(٥٣)

بحث

في الهمة

إِنَّ النَّبِيَّ صَاحِبَ الْمَتَانَةِ

مِنْ رَبِّهِ قَدْ كَانَ ذَا مَكَانَةٍ

وَالْبَحْثُ فِي هِمَّتِهِ الْعَلِيَّةِ

فَتِلْكَ مِنْ أَشَارَةِ جَلِيلَةٍ

قَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ فَرْدًا أَوْحَدًا

مُضْطَلَعًا مُسْتَوْفِزًا مُجَاهِدًا

فَأَعْلَنَ الْحَقَّ بِعِزِّهِ وَجَلَدُ

وَهْمَةٍ بَاقِيَةٍ إِلَى الْأَبَدِ

* * *

وَمَنْ رَقَى فِي دَرَجَاتِ الْهِمَمِ

يَعْظُمُ قَدْرًا فِي عَيُونِ الْأُمَمِ

إِنَّ اعْتِبَارَ^(١) الْمَرْءِ حَسَبَ الْهِمَّةِ

عِنْدَ الْإِلَهِ ثُمَّ عِنْدَ الْأُمَّةِ

(١) في الأصل « وإعتبار » بهمزة قطع للوزن !

لأنَّ من قد كبرت همَّتهُ
 عند الأنام كثرت قيمتهُ
 وعِظْمُ الهِمَّةِ يدعو للضجر
 وهكذا لقد أتانا في الخبر
 أتعبكم من بعدت همَّتهُ
 وأقعست^(١) في النفس أمنيتهُ
 وعن مُناه قصرت آلتُهُ
 وفي المساعي ضعفت قدرتهُ
 * * *

(١) في الأصل « واتعست » وهو تحريف . والهمة توصف بأنها قعساء

(٥٤)

بحث

في العبرة

إِنَّ التَّهَامِيَّ عَظِيمَ الْخَبْرَةِ
 مَنْ نَطَقَهُ مَوْعِظَةٌ وَعِبْرَةٌ
 قَدْ جَاءَ فِي الْعِبْرَةِ مَا عَنْهُ حُفْظٌ
 إِنْ السَّعِيدُ مِنْ بَغِيرِهِ وَعُظٌّ^(١)
 وَهَآكَ مَا مَعْنَى الْحَدِيثِ وَاعْتَبِرْ
 فَكَ لَشَيْءٍ أَذْنِيكَ وَاخْتَبِرْ
 فَمَا حَبِيتَ سَمِعَهُ فَاكْتَسَبَنَ
 وَمَا كَرِهْتَ سَمِعَهُ فَاجْتَنَّبَنَ^(٢)

* * *

وَعَنْ كِبَارِ الْعُقَلَاءِ مَنْ نَقَلَ:
 فِي كُلِّ شَيْءٍ عِبْرَةٌ لِمَنْ عَقَلَ
 وَمَنْ رَأَى فِي غَيْرِهِ مِنْ عِبْرَةٍ
 فَلْيَعْتَبِرْ إِنْ كَانَ أَهْلَ خَبْرَةٍ

(١) أخرجه مسلم بلفظ « السعيد من وعظ بغيره » .

(٢) في الأصل « فاكْتَسَبَهُ » وفي الشطر الثاني « فاجتنبه » وهذان الفعلان يستحقان الجزم، وبه ينكسر البيت .

قيل لبعض الحكماء: يا العجب
ممن تعلمتَ قوانينَ الأدبِ؟
فقال: من كل عديمِ الأدبِ
تركتُ مايفعل للتأدبِ
ودولةُ الجاهل في النهايةِ
عبرةٌ أهل العقل والدرايةِ
في كل شيءٍ فاعتبر لدى النظر
فالدهر من أسمائه (أبو العبر)

* * *

(٥٥)

بحث

في الصدق والكذب

إِنَّ النَّبِيَّ طَاهِرَ الْجَنَانِ
 وَذَا الْبَيَانَ صَادِقَ اللِّسَانِ
 قَدْ كَانَ أَصْدَقَ الْأَنَامِ لَهْجَةً
 وَنَطْقَهُ لِلْعَالَمِينَ حُجَّةً
 وَمَنْذُ لِلْكَوْنِ أَتَى وَشَرَّفَا
 بِالْصِّدْقِ وَالصَّادِقِ كَانَ يُعْرَفَا
 وَقَالَ : إِنَّ أَكْثَرَ الذَّنُوبِ
 فِي الْمَرْءِ مِنْ لِسَانِهِ الْكَذُوبِ
 قَدْ سَأَلُوا الرَّسُولَ فِيمَا يَعْنِي :
 هَلْ يَسْرِقُ الْمُؤْمِنُ أَوْ هَلْ يَزْنِي ؟
 قَالَ : نَعَمْ ، وَمَا أَرَى مُحَالَا
 قَالُوا : وَهَلْ يَكْذِبُ ؟ قَالَ : لَا لَا (١)

(١) يشير إلى حديث : قيل : يا رسول الله هل يزني المؤمن ؟
 (قال : قد يكون ذلك .. الحديث أخرجه ابن عبد البر في التمهيد « كشف الخفاء ١٠٨)

وجاء: لا يكون في الإمكان

الكذب والإيمان في مكان^(١)

* * *

إن كذب الصادق صَحَّ نُطْقُهُ

وصدق الكاذب خاب صدقه

الصدق منجيك وأنت خُتَّة

والكذب مُرديك وقد أُمِتَّه

* * *

(١) يشير إلى حديث : الكفر بجانب للإيمان . أخرجه ابن عدي، وقال : الداقني : رفعه بعضهم ووقفه آخرون وهو أصح (كشف الخفاء ١٠/١٠٨)

(٥٦)

بحث

في الصمت

إِنَّ النَّبِيَّ خَيْرَ كُلِّ قَانِتٍ

أَفْصَحَ نَاطِقٍ وَخَيْرَ صَامِتٍ

لَقَدْ أَتَى فِي وَصْفِهِ الْبَهِيُّ:

كَانَ كَثِيرَ الصَّمْتِ لَا مِنْ عِيٍّ

أَعْطَاهُ رَبُّهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ

كَلَامُهُ كَمِثْلِ دُرٍّ مُنْتَظَمِ

جَاءَ : وَكَانَ لَفْظُهُ قَلِيلًا

كَلَامُهُ يَرْسُلُهُ تَرْسِيلًا

يَلْفِظُ لَفْظًا لَوْ يَعُدُّ لَفْظُهُ

سَامِعُهُ لَكَانَ أَحْصَى حَفْظُهُ

وَقَدْ أَتَى مَعْنَى حَدِيثِ الْأَصْدَقِ:

إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ^(١)

(١) أخرجه القضاعي عن حذيفة، وابن السمعاني في تاريخه عن علي (الفتح الكبير ٢/ ٢٠).

وإن تكن تبغي النجاة فاصمتِ

جاء: قل الخير وإلا فاسكتِ^(١)

* * *

قالوا: احفظ اللسان عند العلماءِ

والقلب أيضاً في حضور الأولياءِ

والصمتُ شرط العقل وهو حقُّه

مَنْ تَمَّ عقله يقلَّ نطقُهُ

بكثرة الصمت تكون الهيئَةُ

مَنْ لازم السكوت غطَّى عيَّه

ما لم تقل يمكن أن تقولَهُ

ما قلت لا يمكن أن تُقلِّه

يلزم للإنسان (قال القُدَّما)

لنفسه يلفظ خيراً دائماً

* * *

يوسف قد صار ابتلاءً حبسه

من لفظه ذاك لأجل نفسه^(٢)

(١) يشير إلى حديث «... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» (أخرجه مسلم، المختصر رقم ٣٢).

(٢) هذا لا يسوغ إلا على تقدير أنه أخبر إخوته بالرؤيا، ولم يثبت ذلك، بل المعروف استجابته لنصيحة أبيه يعقوب عليه السلام ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ سورة يوسف الآية ٥.

وقد أتى: سلامة الإنسان
 في صمته والحفظ للسان
 فهو كما قالوا صغير جرمه
 تَبًّا له لكن عظيم جرمه
 تَبًّا إلى الجاهل ما أغفله!
 ما بين فكيه ترى مقتله
 ”ويلٌ لذا من ذا“ مقالٌ ثاني
 إشارة للرأس واللسان

* * *

وقيل: عضوٌ إن تركته حرّ
 أيضاً وإن مرّنته فقد مرّ
 لساني السَّبْعُ فإن أرسلته
 يأكلني لا بُدَّ إذ أهملته
 ورُبَّ لفظة تجر حـرباً
 وتسلب النعمة منك غصباً
 فغادر القول بما لا يعني
 فربّ لفظةٍ تقول دَعْنِي^(١)

(١) إشارة للحكمة التي نصّها : « رب كلمة تقول لقائلها : دعني، ورب ثوب يقول للابسه : اخلعني .

(٥٧)

بحث في الغيبة

إن مدار الشيم الكريمة
 نهى عن الغيبة والنميمة
 وكان لا يأخذ بالتهمات
 أيضاً ولا يصغي الى الوشاة
 وقد نهى عن أن يبلغوه
 عن بعضهم شيئاً إذا أتوه
 يجب أن يخرج للأصحاب
 وهو سليم الصدر من خطاب^(١)

* * *

أربى الربا وأعزلُ الأمراضِ
 إطالة اللسان في الأعراضِ
 قالوا: ومن أصغى لقولِ الباطلِ
 فإنه فيه شريكُ القائلِ

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي . ولفظه : لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر (الفتح الكبير ٣ / ٣٥٢) .

دعِ الوشاة إن تكن نبيها
سَبَّكَ من بلغَّكَ الكريها
إياك والغيبة والنميمة
ففيهما مفسدة عظيمة
إياكم والعرض لا تعدوه^(١)
من غربل الناس نخلوه

* * *

(١) في الأصل « إياك والعرض لا تعدوه » .

(٥٨)

بحث في النفاق

إِنَّ أَبَا الطَّاهِرِ^(١) ذَا الْفَضِيلَةِ
 تَقَدَّمَتْ أَخْلَاقُهُ الْجَمِيلَةِ
 كَانَ يَجِبُ الصِّدْقُ ثُمَّ الصَّادِقُ^(٢)
 وَيَكْرَهُ النِّفَاقَ وَالْمُنَافِقَ
 كَانَ سَلِيمَ الصَّدْرِ وَالْخَوَاطِرِ
 مُسْتَوِيًّا فِي بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ
 وَالْأَنْبِيَاءَ حَرَمَتْ عَلَيْهِمْ
 خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ لَيْسَتْ فِيهِمْ^(٣)
 أَنْ تَوْمِي^(٤) لِلأَمْرِ الْمُبَاحِ الْأَعْيُنُ
 وَتُظْهِرَ الْخِلَافَ فِيهِ الْأَلْسُنُ
 كَمَثَلِ إِيمَاءٍ لَضَرْبٍ عَنْقٍ
 وَيَقْصِدُونَ غَيْرَهُ بِالنَّطْقِ

(١) الطاهر لقب عبد الله ابنه ﷺ يلقب الطيب والطاهر لأنه ولد في الإسلام

(٢) في الأصل « والصادقا » .

(٣) يشير إلى حديث « إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين، وجواباً لقول الصحابة ألا أومأت إلينا

بعينك ؟ حين كفي عن بيعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ليقوموا بقتله » .

(٤) في الأصل « أن تومي »، سهلت الهمزة .

حقيقة النفاق غير خافية
هي: ^(١) اختلاف السر والعلانية
تباً لذي الوجهين من كـريه
وليس عند الله بالوجيـه
وقالت الأسلافُ أهل الفطنة
في صاحب النفاق ثم الفتنة :
بأنه أقبحُ شيءٍ عَمَلا
وأنه أقصرُ شيءٍ أَجَلا

* * *

(١) في الأصل « مع » .

(٥٩)

بحث

في كتمان السر

إِنَّ النَّبِيَّ مَأْمَنَ الْأَسْرَارَ
 خَزَنَ سِرَّ الْغَيْبِ وَالْأَنْوَارِ
 فِي كَتَمِهِ السِّرَّ عَلَى مِتَانَةٍ
 كَانَ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَمَانَةِ
 قَدْ قَالَ فِي كَتْمَانِهِ الْأَمِينُ :
 عَلَى أُمُورِكُمْ بِهِ اسْتَعِينُوا^(١)
 وَكُلَّ سِرٍّ جَاوَزَ الْاِثْنَيْنِ
 يَشِيعُ فِي الْبَرِّينِ^(٢) وَالْبَحْرَيْنِ
 أَصْعَبُ شَيْءٍ لِلْفَتَى وَأَكْرَهُ
 أَنْ يَكْتُمَ السِّرَّ وَيَدْرِي قُدْرَهُ

* * *

(١) إشارة إلى حديث « استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية والطبراني في المعجم الكبير وابن عدي والعقيلي (الفتح الكبير ١٧٩/١) .

(٢) في الأصل « ويعرف » ومحلها النصب فيختل الوزن .

قال الألي : بواطن الأحرار
مقابرٌ لميتة الأسرارِ
فالسّرّ لاتأت به على فمك
لقولهم : سرُّك أيضاً من دمك
في كتمه غاية ما هناكا
قالوا : ولا تسمعه أذناكا
أقول هذا وأنا مزاجي
أفشى إلى السّرّ من الزجاج
ينضح طبعي رشحة الأسرار
ترشّح الجديد من فخّار
محبة لي في السّخا والبرّ
فأشتهي الجود ولو بسرّ

* * *

(٦٠)

بحث

في الوقار

إِنَّ الْوَقُورَ صَاحِبَ التَّمَكِينِ
 وَذَا الْجَنَانِ الشَّامِخِ الرِّزِينِ
 قَدْ كَانَ فِي وَقَارِهِ مِنَ الْعَجَبِ
 مَجْلِسُهُ مَجْلِسَ حِلْمٍ وَأَدَبِ
 يَكَادُ لَا يَظْهَرُ مِنْ أَطْرَافِهِ
 شَيْءٌ كَذَا قَدْ جَاءَ فِي أَوْصَافِهِ
 قَعُودُهُ مُحْتَبِئًا وَالْقَرْفَصَا
 مَا مَدَّ يَوْمًا رِجْلَهُ وَلَا اتَّكَأَ
 وَحَوْلَهُ الْأَصْحَابُ فِي جُلُوسِهِمْ
 كَأَنَّهُمُ الطَّيْرُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ

* * *

وَكَثْرَةُ اللَّحْظِ وَالْإِلْتِفَاتِ
 (قَالُوا) بِأَنَّهَا مِنَ الْآفَاتِ
 عَلَيْكَ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ
 إِنَّ الْمَزَاحَ يورث الضَّغِينَةَ

واترك فضولاً ليس فيه بركة
 من لفظة أو لحظة أو حركه
 وكم فتى ذي هيبه صغير^(١)
 أعز من ذي خفة أمير
 وإن أتاك مقبل بوذ
 يوماً فخذ اقباله بصد
 لأنّ ذا الإنسان من عاداته
 يبعد ممن قد دنا لذاته
 قالوا : ومن يعرفني صغيرا
 ليس إذا موقري كبيرا

* * *

وعرّف الوقار أهل الفضله:^(٢)
 الاحتراز عن فضول الحركة
 وذاك في الجسم وفي الألفاظ
 حتى وفي ترادف الأحاظ

(١) في الأصل « انا نرى ذا الهمة الحقير » والحقير محلها نصب والقافية مجرورة .

(٢) الفضلة : كلمة منحوتة من « فلذلك الحساب » أي نتيجه وتستخدم للخلاصة . والمراد من أهل الفضلة من يلخصون معاني المصطلحات .

(٦١)

بحث

في المزاح

إِنَّ بَسِيمَ الْوَجْهِ وَالْفَلَّاحِ
 عَذَبَ الْكَلَامَ صَادِقَ الْمِزَاحِ
 قَدْ كَانَ لَا يَمْزَحُ إِلَّا حَقًّا
 يُؤَرِّي لَا يَقُولُ إِلَّا صَدَقًا
 وَجَاءَ فِي أَخْلَاقِهِ الْجَمِيلَةِ
 كَانَ بِهِ دَعَابَةٌ قَلِيلَةٌ^(١)

* * *

وَقَدْ نَهَوْا عَنْ كَثْرَةِ الْمَخَالَطَةِ
 لِلنَّاسِ وَالْمِزَاحِ وَالْمِبَاسِطَةِ
 مَنْ أَكْثَرَ الْمِزَاحَ بِالْإِسْرَافِ
 لَمْ يَخْلُ مِنْ حَقْدٍ وَلَا اسْتِخْفَافٍ

(١) يشير إلى حديث الترمذي في الشمائل (١٤٣ بشرح الباحوري) قالوا : يا رسول الله أنك تداعبنا، فقال : نعم غير أنني لا أقول إلا حقا .

قالوا : ومن قد قلّ منه عقلُهُ

يكثر فيه مزحه وهزلُهُ

قالوا : بأنه يُجَرِّي السُّفها

ويُذهب الهيّة أيضاً والبها

* * *

(٦٢)

بحث

في العهد

إِنَّ النَّبِيَّ نَخْبَةٌ الْوَجُودِ

سِتِّهِ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ

وَقَالَ وَهُوَ صَادِقُ الْبَيَانِ :

رِعَايَةُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ

مِنْ ضَاعَ فِي أَرْضِهِمُ الدِّمَارُ

مَرَدُّهُمْ عَلَيْهِمُ الدِّمَارُ

مَا نَقَضَ الْعَهْدَ أَنْاسٌ أَبَدًا

إِلَّا وَسُلِّطَتْ عَلَيْهِمُ الْعِدَا

فَأَوْفٍ بِالْعَهْدِ إِذَا عَاهَدْتَ

وَأَنْجَزِ الْوَعْدَ إِذَا وَعَدْتَ

* * *

(٦٣)

بحث

في الوعد

إِنَّ إِمَامَ الصَّدَقِ^(١) عَيْنَ الْجُودِ
 سُنَّتُهُ الْإِنْجَازُ فِي الْوَعْدِ
 وَهُوَ - نَعَمْ - أَصْدَقُ كُلِّ مَنْ وَعَدَ
 وَفِيضُهُ مِنْهُلَ كُلِّ مَنْ وَرَدَ
 وَكَانَ مِنْ سُنَّتِهِ الْعِلَاءُ
 إِنْجَازُهُ الْوَعْدَ مَعَ الْإِيفَاءِ
 وَطَالَمَا حَثَّ عَلَى إِتْمَامِهِ
 ”الْوَعْدُ دِينٌ“^(٢) قِيلَ مِنْ كَلَامِهِ
 وَقَوْلُهُ : أَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ
 وَلْتَصَدَّقُوا النَّاسَ إِذَا حَدَّثْتُمْ

* * *

قد مُدِّح (الذبيح) في القرآنِ

بالصدق في الوعد عظيم الشأن^(٣)

(١) في الأصل « مسن الصدق » أي شرع الصدق ، وهو اشتقاق غير صحيح

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط بلفظ « العبرة دين » (الفتح الكبير ٢/٢٤٩)

(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ سورة مريم الآية ٥٤ .

قُدِّمَ صدق الوعد والفتوة
 ذكراً على فضائل النبوة^(١)
 وقالوا: كل صادق بوعدِهِ
 مثاله كَوَدَقٍ في رعدِهِ
 الوعدُ والإنجازُ غيمٌ وبَرَدُ
 قال الأُلى «أنجز حرُّ ما وعدُ»
 الوعد نَفْلٌ والوفاء فرضُ
 وعند أبناء الكرام قرضُ
 ما أقبح الإنسان (قال الكُمَّلُ)
 بأنه يقول ما لا يفعلُ!
 والفعل ما أحسنه ابتدارا
 بغير قول دون أن يمارى^(٢)!
 وأقبح الطباع خلف الوعدِ
 قال الزمخشري : خُلِقَ الوغدِ
 قال الحكيم : حَبَّةٌ بنقِدِ
 أحب لي من بَدْرَةٍ بوعدِ

(١) في الأصل « بغير قول وبلا ممارا » !

(٢) البدره : العدة فيهما النقود .

(٦٤)

بحث

في الصلة

إنَّ كريم الأصل سيدَ البشر
ومن به تفاخرتْ بنو مُضَر
كان يراعي صلة الأرحام
يخصّهم بالعز والإكرام
يُعهدهم^(١) بالبر والهدايا
يمنحهم بأجزل العطايا
ومن دعاء الرحم المقطوع
عياذها بالله من قَطوع
قال : صلوا الأرحام بالدوام
حتى ولو بتحفة السلام^(٢)
للأقرباء إن منحت الصدقة
أجورها تضاعفت مُحققة

(١) في الأصل « ينقدهم » .

(٢) في الأصل « الإسلام » .

قيل : وفي الأعمال للأنام
 أسرع أجراً صلة الأرحام
 أيضاً كما أسرع بالشواب
 فقطعه أسرع بالعقاب
 إنَّ العداوات في الأقارب
 كامنة كالسُّم في العقارب
 رُبَّ أخٍ لي لم تلذه أُمِّي
 ورُبَّ عمٍّ كان منه غمِّي

* * *

(٦٥)

بحث

في العدل والظلم

إن النبيَّ مَشْرِقَ العدالةِ
 ومَنْ أزال ظلمة الضلالةِ
 العدلُ من صفاته في الحُكْمِ
 ويكره الظلمَ وأهلَ الظلمِ
 وحُكْمه المنيفُ عينُ الفضلِ
 وشرُّه الشريفُ لبُّ العدلِ
 مخافة للظلمِ وابتلائه
 كذا استعاذ الله في دعائه
 من أنه يَظلم أو أن يُظلم
 وعن كليهما هو المكرَّم^(١)
 لو جبلٌ - جاء - بغى على جبل
 لك باغ^(٢)، انه عز وجل

(١) في الأصل « لم » ووجودها يجزم الفعل مع أن تاء « مهلتُه » مرفوعة في دعاء الخروج: اللهم أنى أعوذ بك

أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي .

(٢) في الأصل « لك حتى من بغى عز وجل » والتركيب هكذا غير سليم لذا عدلته .

يملي إلى الظالم تبطي مهلته
حتى إذا أمسكه ^(١) لايفلته
في الأرض لاتسعوا ^(٢) إلى الفساد
فصاحب الشرطة بالمرصاد
قال : أنا الظالم ان لم أنتقم
من ظالم مهما يجده يلتقم
ومن أعان ظالما وفاجرا
سلطه الله عليه آخرا
ومن أصاب المال من مهاوش
أذهب به الرحمن في تهاوش ^(٣)
والحجر المغصوب في البناء
سوف يكون سبب الفناء
قل : ومن بالظلم آذى جاره
أورثه الله تعالى داره
من سل سيف البغي حين بأسه
فإنه يُغمده في رأسه

(١) في دعاء الخروج : اللهم أنى أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي

(٢) في الأصل « تسعون » .

(٣) من الأخبار المشتهرة على الإلسنة، ليس حديثاً .

وقال افلاطون في ذي الظُّلم :
قد لا يزال^(١) مهملًا بالحلم
حتى تراه قاصداً بالصنع
يوماً الى أركان حكم الشرع
أو لمباني عمار الدهر
حينئذ أباده ذو القهر

* * *

(١) في الأصل « ولا يزال » .

(٦٦)

بحث

في الكبر والغرور

إن المنيرَ صاحبَ التواضع
 مشرقَ نورِ الكبرياء الساطعِ
 ما كان مختالاً ولا فخوراً
 بل كان عبداً خاضعاً شكوراً
 وقال ما معناه فخرُ الأنبياء
 عن ربه : إن ردائي الكبرياء
 فمن بها نازعني من خلقي
 قصمته بقدرتي وحقّي
 وعن أبي بكر أتى في حكمته:
 مَنْ مَسَّه العُجْب ببعض زينته
 أناله القهارُ مقتاً مُقلِقاً
 حتى يُرى^(١) رغباً لها مفارقاً

(١) في الأصل « يكن » .

والمقتُّ في الكبر وفي الغرورِ
 أشدُّ من فسقٍ ومن فجورِ
 لا تنظرنَّ في مقامٍ دنيوي
 قد نلته أو في مقامٍ أخروي
 تسقط منه عاجلاً بل انظرِ
 لمن هداك للمقام واشكرِ
 وإن حويت عِزَّةً وجاهاً
 فكن كما دعا النبيُّ الله
 في العين من نفسك كُنْ صغيراً
 في أعين العالم كُنْ كبيراً
 ولا تَطِشْ لفتنة الزمانِ
 ولا تغرنَّ بك الأمانِ
 لا تشرب السموم باشتياقِ
 يغررك ما عندك من ترياقِ
 وكان في مُلك سليمان النبي
 يصيح هاتفٌ بصوتٍ معجبٍ:
 لو فيه من كِبَرٍ مثالُ خردلٍ
 ما كان ذا الملكُ لهذا الرجلِ

وقال أفلاطونُ في النصائح :

إنِ ازدهى نفسك مدحُ المادح

فانظر لما خفي عن الأنعام

فيك من العيوب والآثام

وكن بحال النفس منهم أدرى

واجتنب الغرور واخش الكبرا

وقال: إن جنى فما في الأنفة

تنزه عن العيوب والسفه

أيضا وعن تواضع للغاية

فيه زيادة عن الكفاية

قال: كما الإفراط في المؤانسة

يستوجب الذلة والمنافسة

كذلك الإفراط في المكابرة

يستوجب البغضة والمنافرة

من لا يرى من كل أمر أزينه

وليس يرضى بالذي قد أمكنه

والعجب قد أعجبه فاعتاده

والتيه قد تاه به فاقتاده

فدعه ساء طبعه نظاما

يضحك يوماً ثم يبكي عاماً

وعرفوا الكبر: ركون النفس

فوق محقر من ابن الجنس

* * *

(٦٧)

بحث في الحسد

إِنَّ سَلِيمَ الْقَلْبِ طَاهِرَ الْجَسَدِ
 مَنْ رَبُّهُ نَزَّهَهُ عَنِ الْحَسَدِ
 هُوَ الَّذِي صَارَ عَظِيمَ الْجَيْشِ
 رَغْمًا عَلَى الْحُسَّادِ مِنْ قَرِيشٍ
 قَدْ عَصَمَ اللَّهُ عَظِيمُ الْكِبْرِيَا
 عَنِ حَسَدِ النَّفْسِ جَمِيعَ الْأَنْبِيَا
 لَا سِيَّمَا سَيِّدُنَا الْتِهَامِي
 وَقَدْ أَتَانَا عَنْهُ فِي الْكَلَامِ:
 عَلَامَةُ الْمُؤْمِنِ لَا حَقْوُودَا
 يَكُونُ لِلنَّاسِ وَلَا حَسْوُودَا
 كُلُّ حَسْوَدٍ طَبْعٌ لَا يَسْوُودُ
 (نَعَمْ) يَسْوُدُ فَوْقَهُ الْمُحْسْوُودُ
 فَالْحَسَدَ أَخْرِجْهُ مِنَ الْفَوَادِ
 لَا تُخَفِّهِ كَالنَّارِ فِي الزَّنَادِ

مِنْ وصفه: يَضرُّ بالحسود
 من غير أن يضر بالمحسود
 والحقْدَ فانزعه من الأحشاء
 ولا تكن كالناقة الحقداءِ
 إنَّ الحسودَ دائماً غضوبُ
 على الذي ليس له ذنوبُ
 والحسد: التمني للفؤاد
 زوال نعمة عن العبادِ
 وغبطة المرء : تمني الخير
 لنفسه كمثل ما للغيرِ

* * *

(٦٨)

بحث

في التواضع

إِنَّ الرِّفِيعَ شَرَفًا وَقَدْرًا
 كَانَ يَقُولُ : لِأَحَبِّ الْفَخْرَا
 وَكَانَ هُوَ سَيِّدَ الْأَجَلَّةِ
 فِيهِ تَوَاضَعٌ بِلَا مَذَلَّةٍ
 مَكَّةَ لَمَّا فَتَحَتْ بِأَسْوَ
 جَاءَ لَهَا مَطَاطُئًا لِرَأْسِهِ
 كَادَ يُمَسُّ رَأْسُهُ الْمَنِيرُ
 قَادِمَةً الرَّحْلَ وَهُوَ يَسِيرُ
 تَوَاضَعًا لِرَبِّهِ الْكَرِيمِ
 تَشَكَّرًا لِفَتْحِهِ الْعَظِيمِ^(١)
 كَانَ إِذَا قَامَتْ لَهُ الصَّحَابَةُ
 يَنْهَاهُمْ عَنْ هَذِهِ الْمَهَابَةِ

(١) فتح مكة.

لا تفعلوا فعائل الأعجام
يعظمون البعض بالقيام^(١)
ويركبُ الحمار بالتواضع
يُردف خلفه من^(٢) التواضع
تواضعُ الإنسان عزٌّ مختفٍ
مصيدٌ للجاه ثم الشرف

* * *

(١) القيام المنهي عنه هو : الوقوف على رأس من هو جالس وهو ما كانت عليه ملوك الفرس والروم، وقد ألف النووي رسالة في القيام لأهل الفضل .

(٢) في الأصل « كلا » .

(٦٩)

بحث

في الصديق والصدقة

إِنَّ التَّهَامِيَّ شَدِيدَ النُّخْوَةِ

قد قال : إن المؤمنين إخوة^(١)

كان مراعيًا إلى الأصحاب

بالودِّ والإكرامِ والرحابِ

لأسيِّمِ الصَّدِيقُ والفَارُوقُ^(٢)

وهو محبُّ لهما صدوقُ

ثم ابنُ عفانٍ وثُمَّ المرتضى

عليهم من ربنا أزكى الرضا

قيل : وإن كثرة الإخوان

معونةُ المرء على الزمانِ

لا تُشترى عداوةٌ وحيدة

بالألف من صداقة أكيدة

(١) يشير على حديث « المؤمن أخو المؤمن .. » أخرجه مسلم ١٣٩/٤ .

(٢) في الأصل « والفاروقا » مع أن محله الرفع . وكان آخر البيت « صدوقا » .

اختر جديد كل شيء دائما
 إلا من الإخوان فابغِ القدا
 كل صديقٍ ناصحٍ ألوفٍ
 يقال : لا يباع بالألوفِ
 من عامل الإخوان بالمساحمة
 تبقى قلوبهم إليه ناصحة
 من ابتغى خلاً بلا معائبٍ
 يبقى من الدهر بغير صاحبٍ
 من عاتب الصديق في كل خطأ
 يكثر الأعداء من ذاك الجفا
 من زلةٍ لا يُقطعُ الخيلُ
 إلا إذا أعجزكَ التعديلُ
 في العمر لا تلقى له رفيقا
 بالغيظ من لم يتجرَّع ريقا
 قالوا : وشرط الحزم والصيانة
 انك من ترميه بالخيانة
 لا تركزنْ إليه بعد ذلك
 فإنه من أعظم المهالك

قالوا: صديقٌ للفتى مُضِرٌّ
من جملة الأعداء بل أشرُّ
أيضاً ومن غشَّك في المصاحبة
فبعد ذاك احذره أن تقاربه
عدُو أعدائك من خِلالِكَ
صديقُ أعدائك من أعدائك

* * *

(٧٠)

بحث

في معاملات الألفة

شأن^(١) رقيق الألفة المحبوب
 كان مؤلفاً الى القلوب
 كان به من الصفات الظاهرة
 الألفة الحسنة في المعاشرة
 برحمة منه لدى التكلم
 ينطق بالحلم وبالتبسم
 كان لمن فاضله مصابرا
 حتى لنفسه يكون صادرا
 فعاشر الناس بخلق المصطفى
 بالود والبشر وحلم ووفا
 ولا تفارق أسفلاً أو عالياً
 حتى يروح^(٢) مادحاً أو راضياً

(١) في الأصل « ان » ويؤدى وجودها إلى نصب المحبوب مع أن القافية في الفجر مكسورة.

(٢) في الأصل « تدعه » .

وإن أردت النفع في المصالح
 فعاملِ الناس بعذرٍ واضحٍ
 يلزم أن ترضى الى ابن جنسك
 بمثل ماترضى به لنفسك
 جاء: ولاخير بمن لا يألفُ
 لا يألف الناس وليس يُؤلفُ
 قالوا: بأنَّ حالة المناسبة
 تؤلف الأشخاص بالمصاحبة
 وقالوا: شرط الودِّ والمعاشرة
 تركك للتكليف والمعاصرة^(١)
 وقال أفلاطون في المعاشرة :
 وعاشر الناس على المصابرة
 فعشرةٌ من صلة متبوعةٍ
 آثُرُ عنده من المقطوعة
 والاحتمالُ مَعَه التآني
 آثُرُ عنده من التجننى

(١) في الأصل « والمعاشرة » !

واعلم بأنهم على المكابدة
 تحملهم بعض الظنون الفاسدة
 لو حسدوا من سوء طبع أو غرض
 فاحذرهم واغفر لمن قد اعترض
 قالوا: ولا تَهَشَّ للأَنامِ
 هَشاشةً للخاص ثم العام
 أتوك ثم جعلوك مرعى
 لأبَد أن تضيق منهم ذرعا
 وبعدها الفرقة والمهاجرة
 موجبةٌ للبغض والمشاجرة
 بل القَ أعلاهم لدى المعارضة
 بالود والترحيب والمفاوضة
 وعامل الأوسَط منهم مُطلقا
 بالصمت والوقار مع حسن اللِّقا
 وعامل الأسفل بالصَدود
 مع بَذْلِكَ الودِّ لدى المقصودِ
 أيضاً ومن نصائح اليوناني:
 احذر من الدنوّ للأداني

تُعديك أخلاقُهُمُ اللئيمة
 كذاك أفعالُهُمُ الذميمة
 قد قيل: لاقِ الأصدقاء والعدا
 كُلاًّ بوجهٍ واحدٍ من الرضا
 من غير ذُلٍّ وبلا مهابةٍ
 والحالة الوسطى هي الإصابة
 تواقُر من غير كِبَرٍ مُغرٍ
 تواضعٌ من غير ذلٍ مُزِرٍ
 وأصغٍ للكلام بالتأدب
 من غير اظهارك للتعجب^(١)

* * *

(١) في الأصل « إلى الكلام » .

(٧١)

بحث

في الناس

إن نبيّ^(١) الكون روح الحقّ
ومَن بهديه^(٢) حياةُ الخلقِ
خير الورى أسمى الأنام سؤددا
قد كان دأبه لهم تودُّدا^(٣)
وجاء في أخبار فخر الناس:
كان من الناس على احتراس
يحترسُ الناس ومنهم في حذر
من غير أن يطوي لهم على ضرر
الناسُ كالمعادن المتنوعة
من أسرب^(٤) وفضة مشعشة

(١) في الأصل « مدار » .

(٢) في الأصل « لأجله » .

(٣) في الأصل « قد كان للناس به متوددا » .

(٤) نوع من المعادن .

وبعضهم كالذهب الإكسير
 والبعض كالحديد والقصدير
 ومن ذوي العاهات (قال) فاحذروا
 ثم من المجذوم فرّوا وانفروا
 قال أرسطاليس اليوناني :
 الناس مع كثرتهم نوعان :
 أراذل طبعهم الخيانة
 بالذل ينقادون والإهانة
 ومنهم الخيار نوع ثان
 يُقاد بالحياء والإحسان
 وصحبة الناس كمثّل النار
 خذ نفعها واحذر من الأضرار
 الناس أتباع الى من قد غلب
 والنشَبُ المرغوبُ فيهم لا النسب
 ومنهم^(١) مثلُ الغذاء النافع،
 ومنهم كمثّل سُمِّ نافعٍ

(١) في الأصل « وهم » .

لا تركزنَّ في الـورى الى أحد
ولا الى أخٍ ولا الى ولد
كم ولدٍ عَقَّ أباه طاغيا !
وكم أخٍ خان أخاه باغيا!
* * *

(٧٢)

بحث

في المشورة

إن المشيرَ صاحبَ الإصَابَةِ
 مَنْ اقتَدَتْ برأيه الصَّحَابَةُ
 قد كان من خصاله المبرورة^(١)
 في أكثر الأمر هو المشورة
 وقد أتى في سنة الرسولِ
 أن: استشيروا من ذوي العقولِ
 ونَقَّحُوا العقولَ بالمشاورة
 وأوضحوا العقولَ بالمذاكرة
 وطالما استخار واستشاراً
 مذكراً أصحابه اختباراً
 وقال في الشُّوراءِ^(٢) أصحابُ الأدبِ:
 إليك راحةٌ وللغير تعبٌ

(١) في الأصل « المنورة » على أن آخر البيت (المشورة) والصواب (المشورة) لذا غير (المنورة) إلى المبرورة .

(٢) أي الشورى . وهو مدّ للكلمة المقصودة لضرورة الشعر .

إذا استشرت عاقلاً في فعلك
 يُضَمَّ (١) نصفُ عقله لعقلك
 شاورهم في الشر أو في خيرك
 واجعل إلى نفسك عقل غيرك
 واستفت في الأمور (قالوا) صحبتك
 وبعده فاستفت (قالوا) قلبك
 واستشر الأعداء بالتغابي
 رأي العدو مناقض الصواب (٢)
 إذا استخار رجل مولاه
 وبعدها استشار من والاه
 واجتهد الرأي فقد أتم ما
 عليه والباقي على رب السما
 * * *

(١) في الأصل « يصير » .

(٢) أي استشر عدوك متغافلاً عن عداوته ثم اعمل بعكس ما يقول، لأن عداوته تحمله على اختيار ما يناقض الأصلح لك.

(٧٣)

بحث

في النصيحة

إِنَّ رُؤُوفَ الطَّبَعِ وَالْفُؤَادِ
 نَبِيَّنَا النَّاصِحَ لِلْعِبَادِ
 قَدْ كَانَ مِنْ سُنَّتِهِ النَّصِيحَةُ
 لِلَّهِ، لِلخَلْقِ عَلَى الصَّحِيحَةِ
 جَاهِدَ حَقَّ الْجُهْدِ فِي الدَّلَالَةِ
 بِالنَّصِيحِ وَالتَّبْلِيغِ لِلرِّسَالَةِ
 وَيُنْذِرُ النَّاسَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ
 يَدْعُوهُمْ (كَانَ) بِأَعْلَى صَوْتِهِ
 يَعْظُمُهُمْ^(١) بِالْحَرَصِ وَعِظَ الْمُنْذِرِ
 كَأَنَّهُ يُنْذِرُهُمْ مِنْ عَسْكَرٍ^(٢)
 أَرْحَمُ مِنْ آبَائِهِمْ عَلَيْهِمُ
 أَرْأَفُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ إِلَيْهِمْ

(١) في الأصل « يوعظهم » .

(٢) يشير إلى حديث « كأنه حديث منذر جيش » في وصف الوعظ النبوي عند التخويف والترهيب .

اعملْ لدنياكَ من المساعي
 بقَدَرِ المُكْثِ بها يا واعي
 اعملْ لأُخْرَاكَ من الكرامةِ
 أيضاً بها بقَدَرِ الإقامةِ
 واعمل من العصيان في ذي الدارِ
 بمثل ما تُطيق حرَّ النارِ
 وكلما أردتَ تعصي فانتبهْ
 وابغِ مكاناً لا يراك الله به
 وعمدَةُ الإيْمَانِ والحقيقةِ
 النصْحُ لله وللخليقةِ
 مَنْ لونه اصفَرَّ من النصيحةِ
 اسودَّ وجهه من الفضيحةِ
 إذا استشارك العدو في زَمَنٍ
 فانصحه إنَّ المستشارَ مؤتمنٍ
 يؤدَّبُ الجاهلُ بالفضيحةِ
 أحسنَ من ألفٍ من النصيحةِ
 وعن عليٍّ قد سمعنا سَنَدًا
 يُعزى له: لا تتعمم قاعدا

لا تقطعن قطيعة من الغنم^(١)
 والبس سراويلك لاعلى القدم^(٢)
 كذاك وطء بريّة الأعلام
 نكاهها جالبة الآلام
 وجاء من قبيل ذى المعدود
 لاتكتبن بالقلم المعقود
 ومشطك المكسور لاتستعمل
 والمشي ما بين القبور أهمل^(٣)
 قالوا: ثلاثة سريعة العطب
 دنيا، وفي المحشر تفضى للغضب:
 الكبر، مع كسر قلوب الخلق،
 وسوء آداب لأهل الحق
 ثلاثة ليس لها أمان:
 البحر، والزمان، والسلطان

(١) أي لا تعترض في مشبك قطيع غنم يتر

(٢) أي البسه قاعداً وليس واقفاً على قدميك .

(٣) في الأصل « تستعمله » وبآخر البيت « أهمله » .

هذا وما بعده في الأبيات الأربعة التالية مما نقله المؤلف هو من الخرافات التي وردت في بعض الأخبار

الموضوعة ولا تزال ترددها بعض البيئات البعيدة عن العلم .

والعجب من الناظم - رحمه لله - أنه أورده في باب النصيحة!

ثلاثة أجودها العتيقُ:

التبر ، والحمام ، والصديقُ

ثلاثة في حفظها أمانُ:

الفرج ، ثم الفم ، واللسانُ

ثلاثة ليس لها وفاءُ:

الدهر ، والصحة ، والنساءُ

ثلاثة ليس لها اشتراكُ:

المشط ، والخِلال ، والمسواكُ

ثلاثة قليلها كثيرُ:

دين ، ونار ، مرض^(١) خطيرُ

* * *

(١) في الأصل « ثم مرض » .

(٧٤)

بحث

في الأمانة والخيانة

إِنَّ الْأَمِينَ صَاحِبَ الْأَمَانَةِ
 قَدْ طَلَمَا نَهَى عَنِ الْخِيَانَةِ
 مِنْذُ نَشَأَ يُعْرِفُ بِالْذِيَانَةِ
 وَالصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ وَالْأَمَانَةِ
 وَاسْمُهُ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ
 بِالْحَقِّ وَهُوَ قَائِمٌ مَتِينٌ
 وَلِلْخَوَّوْنَ قَدْ كَفَى مَا أَسْنَدَا :
 «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(١) أَبَدَا
 مَنْ ائْتَمَنَكَ أَدَّهِ الْأَمَانَةِ
 وَلَا تَخُنْ مَنْ جَاءَ بِالْخِيَانَةِ
 كُلُّ أَمِينٍ آمِنًا يَكُونُ
 وَخَائِفًا يَكُونُ مِنْ يَخُونُ

(١) أخرجه ابن ماجه، وأخرجه الترمذي بلفظ « من غشنا فليس منا » (الفتح الكبير ٣/ ٢١٤) .

إِنَّ الْغَنَى تَجْلِبُهُ الْأَمَانَةُ
 وَالْفَقْرُ قَدْ تَجْلِبُهُ الْخِيَانَةُ
 وَكُنْ أَمِينًا كِي تَنَالَ عِزًّا
 لَا تَكُ خَائِنًا تَهْنُ وَتَحْزَنَ
 وَاسْلُكْ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالْأَمَانَةِ
 وَاجْهَلْ سَبِيلَ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ
 وَانْوَ لِكُلِّ الْعَالَمِينَ خَيْرًا
 وَكُنْ كَمَثَلِ الصَّالِحِينَ بَرًّا
 وَهَذِهِ الْأَمَانَةُ الْمَنْصُوصَةُ
 فِي الْمَالِ لَا تَخَالُهَا مَخْصُوصَةٌ
 بَلْ إِنَّهَا لَذِي الْعَهْدِ وَالْوَفَا
 وَالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ وَجِهًا وَقَفَا

* * *

(٧٥)

بحث

في الاستقامة

إِنَّ المتينَ صاحبَ الكرامةِ
 ذو العِزِّ والحِزمِ والاستقامةِ
 سورة هود (قال) : شيبتي^(١)
 أي ﴿فاستقم كما أمرت﴾^(٢) يعني
 وجاء عن عائشة المفضلة:
 وأَيْكُمْ كان يُطيقُ عمله
 أعمالُهُ دائِرَةُ التَّوَالِي
 على مدى الأيام والليالي
 أحب الأعمال إلى الرحمنِ
 أدومُّها على مَدَى الزَّمانِ^(٣)
 قالوا: حريٌّ كُلُّ ذي استقامةٍ
 بأن ينالَ رتبةَ الكرامةِ

(١) شيبتي هود وأخواتها « أخرج الطبراني في الكبير وبلغت آخر منه سرد أخواتها : الواقعة والقارعة

(٢) سورة هود / ١١٢ .

(٣) يشير إلى حديث « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » أخرج البخاري ومسلم (كشف الخفاء ٥٢ والفتح الكبير ١ / ٤٦) .

(٧٦)

بحث

في الدنيا

إِنَّ الرُّسُولَ سَيِّدَ الْكَوْنَيْنِ
 صَاحِبَ تَاجِ الْعِزِّ فِي الدَّارَيْنِ
 قَدْ كَانَ لَا تَهَمُّهُ دُنْيَانَا
 وَلَا يَبَالِي كَانَ أَوْ مَا كَانَ
 دُنْيَاكُمْ (جاء) كخضراء الدِّمَنِ^(١)
 تَبًّا لَهَا دَارُ الْبَلَاءِ وَالْمَحْنِ
 فَكُنْ بِذِي الدُّنْيَا عَلَى الرَّحِيلِ
 وَكَالْغَرِيبِ، عَابِرِ السَّبِيلِ^(٢)
 لَنْ تَخْدَعِيَ إِلَّا عَدِيمَ الْفِطَنِ
 يَا جَنَّةَ الْكَافِرِ، سَجْنَ الْمُؤْمِنِ^(٣)
 تَبًّا لَهَا حَلَالُهَا حِسَابُ
 وَإِنَّمَا حَرَامُهَا عَذَابُ

(١) في الحديث « الدنيا حلوة خضرة » ولم أجده بلفظ خضراء الدمن إلا في حديث إياكم وخضراء الدمن .

(٢) يشير على حديث « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » أخرجه البخاري .

(٣) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » صحيح مسلم بشرح النووي ١٠ / ٥٠٠ .

لا تَكُ مما نلت منها فَرَحاً
 ولا لما فاتك منها تَرَحاً
 مدتها تشبه عند القوم
 كلمحة أو سِنَّةٍ من نومٍ
 من ترك الدنيا فذاك العاقلُ
 بقولهم، وما سواه الجاهلُ
 نعيمها وبؤسها يزول
 لله در عارفٍ يقولُ :
 هل هي إلا ساعةٌ وتنقضي
 لا يغلبُ الأيامَ إلا من رَضِيَ
 ولو تساوى عند من سَوَّاهَا
 جنح بعوضةٍ لَمَنْ جفَّاهَا
 ما أطعم الكافرَ منها حبة
 كلا ولا سقاه منها شَرِبَةً^(١)
 انظر إليها نظرَ المفارقِ
 لا نظرَ العاشقِ والموافقِ

(١) يشير إلى حديث « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » أخرجه الترمذي .

قالوا: نرى واجدها سكرانا
 كما نرى فاقدها حيرانا
 إقبالها سحابةٌ في صيفٍ
 خطورٌ سيفٍ أو مرورٍ ضيفٍ^(١)
 ومن ذوي الزهد فتى معنّى
 قد وصف الدنيا بهذا المعنى
 هل هذه إلا كنيفٌ يُملا
 ليلاً نهاراً ثم قدر يُغلى
 كامراً يوماً الى العطارِ
 تأتي، ويوماً تأتي للبيطار
 وشبهها في سرعة الزوال
 (قالوا) كظل الشمس في المثالِ

* * *

قلت : وفي التأخير والتقدم
 فإنها تُشبهه^(٢) ظل الآدمي

(١) في الأصل « صيف » .

(٢) في الأصل « في الشبه » .

تهرب ممن قد أتاها قاصدا
تلاحق من أعرض عنها زاهدا^(١)
قلت : وما لها صفاتٌ فاخرة
إلا أنّها مزرعةٌ للآخرة
* * *

(١) في هذا الوصف قال أحدهم :
كل من ادركت يشكو دهره
ويمكن أن يجاب عليه بما يلي :
هذه الدنيا لمن يتركها
ليت شعري هذه الدنيا لمن ؟
فاتق الله ، ودع شكوى الزمن

(٧٧)

بحث

في الدولة

إِنَّ النَّبِيَّ ذَا الْمَقَامِ الْأَسْنَى
 وَصَاحِبَ الْمُلْكِ الَّذِي لَا يَفْنَى
 حَثَّ عَلَى الرَّحْمَةِ لِلرَّعِيَّةِ
 وَفِي الْعُمُومِ هَذِهِ كَلِمَةٌ
 الْكَلَّ يَغْدُو رَاعِيًا^(١) فِي خِدْمَتِهِ
 وَيُسْأَلُ الرَّاعِي غَدَا عَنْ غَنَمِهِ
 قَالُوا إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ
 تَغَيَّرَ الْعَالَمُ وَالزَّمَانُ
 لَوْلَا الْمُلُوكُ يَحْرُسُونَ الْأَرْضَا
 يَأْكُلُ بَعْضُ النَّاسِ كَانَ بَعْضَا
 جَمَشِيدٌ قَدْ أَوْصَى إِلَى بَهْرَامِ:
 بَيْنَ الْمُلُوكِ لَيْسَ مِنْ أَرْحَامِ

(١) فِي الْأَصْلِ « الْكَلَّ مِنْكُمْ رَاعِيًا » بِنَصَبِ رَاعِيَا دُونَ نَاصِبٍ .

الملك في الدنيا عقيم الرحم
 من زمن السفاح للمعتصم
 قالوا: وإن ملكت فالسياسة
 فإنها الأساس في الرئاسة
 قالوا : تسرُّ عن الأهالي
 أهيبُّ من سفكِ الدما للوالي
 على الأمور أجسر الطباع
 أكثرهم^(١) رؤيا الى السباع
 قالوا وأسباب زوال الدول
 جميعها من اصطناع السُّفُل
 والملك لا يزول بالضلالة
 زواله من عدم العدالة
 قال الزمخشري : الوزارة^(٢)
 نفس بلاها الله بالوزارة
 وقالوا : كل من وزرَ موسى
 بوزره إلا وزيرَ موسى

(١) في الأصل « لكسرهم » .

(٢) يقصد مهنة فيها الوزر (المسئولية) .

قال: مثال خدمة السلطان
 كخلوة الحمام بالنيران
 داخلها قد يشتهي الخروجا
 ويشتهي خارجها الولوجا
 قالوا: ومن غفلته قد طالت
 تضععت دولته وزالت
 ياطالبا لراحة ودولة
 قد نصح الحكيم فاسمع قوله :
 ”الجاه والراحة كالضدين
 فاختر لنفس^(١) أحد الحالين
 وغادر الدولة والحكومة
 إن شئت راحة بلا خصومة
 وإن أردت دولة وتيها
 فغادر الراحة واقنع فيها

* * *

(١) في الأصل « إلى النفس » .

(٧٨)

بحث

في الإقبال والأدبار

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَكْشُوفَ الْكَرْبِ

وَمَنْ مَعَ الْاِكْدَارِ مَرْفُوعُ الرَّتَبِ^(١)

قَدْ كَانَ رَاضِيًا لَدَى الضَّرَاءِ

وَشَاكِرًا لِلَّهِ فِي السَّرَّاءِ

يَفْرَحُ لِلشَّدَّةِ فِي وَقْتِ الْبَلَاءِ

لَأَنَّهَا بَشَارَةٌ إِلَى الرَّخَاءِ

وَالْعُسْرُ لَوْ فِي جَوْفِ جُحْرٍ وَجَاءِ

لِبَادِرِ الْيَسْرِ إِلَيْهِ مُخْرِجًا

تَعْرِفُوا لِلَّهِ فِي الرَّخَاءِ

يَعْرِفُكُمْ فِي شِدَّةِ الْبَلَاءِ

الْعُسْرُ قَدْ أَتَى^(٢) مَعَ الْيُسْرِ

فَوَاحِدٌ لَنْ يَغْلِبَ الْاِثْنَيْنِ

(١) في الأصل «... كاشف الكرب ودافع الاكدار رافع الرتب».

(٢) في الأصل «يأتي» وهو يشير إلى قوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ سورة الشرح الآية ٥ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ سورة الشرح الآية ٦.

إذا أراد الله جلت قدرته
 عن عبده بأن تزول نعمته
 يأتي الزوال أولاً لعقله
 يرى الجميل في قبيح فعله
 من بعد ما ينفذ حكم ربه
 فيعلم العبد جزاء كسبه
 ردّ إليه العقل ثاني مرة
 معتبراً بعد خراب البصرة
 ودولة إن أقبلت بالقوة
 فالعقل يستخدم فيها الشهوة
 وإن يكن إقبالها قد ولى
 تستخدم الشهوة فيها العقلا

* * *

ثلاثة إدمانها معتاد:
 كبر، وإهمال، واستبداد
 والعكس للإقبال فيه بركة:
 تواضع، مشورة، مع حركة

الدهرُ في إلدبارِ والإقبال
 لا يستقرُّ أمره بحالٍ
 فهو أسلوبٌ تارةً لما وهب
 وهو وهوبٌ تارةً لما طُلب
 ذو العقل لا يستقبل الكرامة
 ببطرٍ كجاهلٍ مقامه
 إن أقبلت فلا قيامَ ببطرٍ
 أو أدبرت فلا وداعَ بفجرٍ

* * *

قالوا بأن مُدبرِ العُقَالِ .
 أرجى من الجاهل في الإقبالِ
 ذو العقل لا تُبطره الأفراحُ
 كالصخر لا تهزه الرياحُ
 وتبطر السخيفَ أدنى منزلة
 كما تميل من نسيم سنبلة
 من نال أقصى كل ما قد سَرَّهُ^(١)
 فليتنظر غاية ما قد يكره

(١) في الأصل « يسره » .

لأنهم قالوا: وليس فرحة^ة
إلا وخلفها ستأتى ترحة^ة
جاء عن افلاطون هذه الموعظة
موعظة ويالها من موقظة
قال: ومن سار لدى الإقبال
على نظام العقل باعتدال
وفي الحقوق ثم والحدود
مراعياً للخلق والمعبود
وليس يعدو هذه المحافظة
ولابذرة لدى الملاحظة
في مثله قد جرت العادات
يسلم لا تطرقه الآفات
وكان في إقباله مؤبدا
وباطناً وظاهراً مؤبدا
ومن رماه الجهل في التغليط
وساد في الافراط والتفريط
ولم يكن للاعتدال مالكا
أو كان عن قصد إليه تاركا

أسرع ما يكون هذا ساقطاً
عن جاهه وللحضيض هابطاً
لأن حد الاعتدال لازم
بين مزاج الكائنات قاسمٌ

* * *

(٧٩)

بحث في المكافأة

إِنَّ عَفْوَ النَّفْسِ وَالْإِنْصَافِ
 كَانَ عَلَى الزَّلَّةِ لَا يَكْفِي
 فِي الْمَكَافَأَةِ خِصَالُ الْمُصْطَفَى
 كَانَتْ مُلَاقَاةَ الْجَفَاءِ بِالْوَفَا
 يَقَابِلُ السَّيِّئَ بِالْجَمِيلِ
 وَلَا يَجَازِي (كَانَ) بِالْمِثْلِ
 قَالَ: كَمَا تَدِينُ أَنْ^(١) تُدَانَا
 إِنْ شِئْتَ إِحْسَانًا فَدِنْ إِحْسَانًا
 وَلَا تَعِيرْ بِالْبَلَاءِ أَخَاكَ
 فَاللَّهُ يَبْلِيكَ وَيُنْجِي ذَاكَ
 لَوْ عَيَّرَ الْحُبْلَاءَ حَتَّى رَجُلُ
 أَخَافَ أَنَّهُ بِيَوْمٍ يَجْبُلُ!
 قَدْ قَالَ رَبُّ مَا لَهُ مِنْ ثَانٍ:
 إِنْ الَّذِي يَعْمَلُ مِنْ عَصِيَانِي

(١) في الأصل « قد » فيكون الفعل بعدها مرفوعاً مع أن آخر البيت منصوب .

سلطتُ من في الخلق لا يعرفني
 عليه فليتيق من يعرفني^(١)
 إنَّ الذي يفعل كلَّ ما يشا
 فسوف يلقي في غد ما لم يشا
 من ضرَّ ضرَّ، ثم من يظلم ظُلم^(٢)
 من برَّ برَّ، ثم من يخدمُ خُدم
 وكل فاعل له ما يفعلُ
 والله قد يمهلنا لا يهملُ
 إنَّ المكافاةَ على الصنائع
 واجبةُ الظهور في الطبائع
 يجزي بها سيئة أو حسنة
 لو أنها من بعد عشرين سنة
 وأصعب الجزاء في الشأمة
 هو الذي أُخِّر للقيامه
 وربما قد تضرَّس الأبناءُ
 من حصرمٍ تأكله الآباءُ

(١) إشارة إلى حديث قدسي .

(٢) في الأصل « من ظلم قل ظلم » .

من ينفعِ الناسِ يجدُ من ينفعُهُ
 من يلدغِ الناسِ يجدُ من يلسعُهُ
 اليومِ زرعٌ وغداً للحَصَّدةِ
 الخيرِ خير، والفسادِ مفسدة
 يداكَ أو كتّا وفوك قد نفخ^(١)
 وسعيك الجاني وثمّ المصطرخ
 ولا تكن للناسِ بالمكافي
 فإنما الدهرُ مكافٍ كافي

* * *

(١) يشير إلى المثل العربي مورده أن شخصاً نفخ قربة وربطها - دون إتقان - ليعبر عليها نهراً .

(٨٠)

بحث

في الغنى

إِنَّ الَّذِي أَعْرَضَ عَنْ دَارِ الْفَنَاءِ
 تَنْزَهًا وَمَا ابْتَغَى فِيهَا الْغِنَى
 قَدْ اسْتَعَاذَ مِنْ شَتَاتِ الْأَمْرِ
 مِنْ بَطَرِ الْغِنَى وَذُلِّ الْفَقْرِ
 وَلَيْسَ بَعْدَ الدِّينِ خَيْرٌ مِنْ غِنَى
 وَلَيْسَ بَعْدَ الْكُفْرِ شَرٌّ مِنْ عَنَاءِ
 انْظُرْ إِلَى ذِي ^(١) الثَّرْوَةِ اللَّئِيمِ
 أَعَزَّ مِنْ ذِي قِلَّةٍ كَرِيمٍ
 لِأَنَّهُ يَمُوتُ الْمَرْءُ فِي حَالِ الْغِنَى
 وَالْمَالُ يَبْقَى بَعْدَهُ إِلَى الْعَدَا
 خَيْرٌ مِنَ الْحَاجَةِ فِي بَلَائِهِ
 وَفِي حَيَاتِهِ لِأَصْدِقَائِهِ

(١) في الأصل « انا نرى ذا » .

(٨١)

بحث في الفقر

إِنَّ التَّهَامِيَّ عَظِيمَ الْقَدْرِ
 مِنْ رَبِّهِ اخْتَارَ شَعَارَ الْفَقْرِ
 وَعَنْهُ قَدْ جَاءَ بَلَاءُ اشْتِبَاهٍ:
 «الْفُقَرَاءُ هُمْ عِيَالُ اللَّهِ»
 «الْفَقْرُ فَخْرِي» جَاءَ فِي مَعْنَاهُ
 هَذَا لِمَنْ يَصْبِرُ فِي بَلَوَاهُ
 وَجَاءَ: «كَادَ أَنْ يَكُونَ كَفْرًا»^(١)
 فَكَلِمًا افْتَقَرَتْ فَازْدَدَ شُكْرًا
 وَهِيَ سَوَادُ الْوَجْهِ فِي الدَّارَيْنِ
 سَوَادُهُ الْأَصْغَرُ ذَلِّ الدِّينِ
 وَالْفَقْرُ فِي الْإِسْرَافِ ثُمَّ الطِّيشِ،
 وَإِنَّمَا التَّدْبِيرُ نَصْفُ الْعَيْشِ
 الْفَقْرُ مَجْمَعٌ إِلَى الْعَيُوبِ
 كَنْزُ الْبَلَاءِ وَالذَّلِّ وَالْكَرُوبِ

(١) يشير إلى حديث « كاد الفقر أن يكون كفرا » أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥٣/٣ و ١٠٩ .

قالوا: ومن أفلس قلّت غيرته
ورق دينه وساءت سيرته
«لا فقر للعاقل»^(١) قال المرتضى
إشارة للاقتصاد والرضا
وبعضهم إذا أتته نعمته
يقول: ذنب عجلت عقوبته
وإن أتاه الفقر أضحى فرحاً
يقول: أهلاً بشعار الصلحا
إن شئت أن تتبع النبيا
فمت فقيراً، لا تمّت غنيا^(٢)

* * *

(١) يشبهه حديث « لا فقر أشد من الجهل » أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٣٦ .
(٢) ليس هذا مما يملكه الإنسان ! ثم إن الغني الشاكر المؤدى لحقوق المال يفضل - بما يتصدق - الفقير حتى لو كان صابراً، كما في حديث : ذهب أهل الدثور بالأجور .

(٨٢)

بحث

في الدين

إِنَّ صَدُوقَ الْمُنْطَقِ الْوَثِيقِ
 سَيَمُتُهُ الْوَفَاءُ بِالْحَقُوقِ
 وَصَحَّ عَنْهُ الدِّينُ حِينَ الْفَقْدِ
 وَبِالنَّسِيئَةِ اشْتَرَى وَالنَّقْدِ
 مَاتَ وَكَانَتْ دَرْعُهُ رَهِينًا
 عِنْدَ يَهُودِيٍّ، كَذَا رُؤِينَا
 هَذَا وَقَدْ كَادَ تَرَابُ الْغَبْرَا
 يَصِيرُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ تَبْرَا
 كَانَ يَقُولُ ذُو الْخِصَالِ الْفَاخِرَةِ:
 لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ دَارِ الْآخِرَةِ^(١)
 لَا هَمَّ فِي الدُّنْيَا كَهَمَّ الدِّينِ
 وَلَيْسَ مِثْلُ وَجْعِ الْعَيْنَيْنِ
 الدِّينِ فِي جَيْدِ الرِّجَالِ غُلٌّ
 فِي اللَّيْلِ هَمٌّ وَالنَّهَارِ ذُلٌّ

(١) في الأصل « انا نرى ذا » .

لو أنه في عنق الضرغام
 كان أذله إلى الأنام
 إن كان اسم الدين قرصاً حسناً
 وفاءه يكون منه أحسنأ
 صبرك للنفس ولا صبر الورى
 عليك إن مسك جوع أو عرا^(١)
 حذر أفلاطون أهل الفطن
 عنه بهذا المعنى وقد أعجبني:
 الدين يستحليه كل جاهل
 كل كذوب الطبع والمماطل
 ولا يميل أحد إليه
 إلا وهانت نفسه عليه
 وضُرّه في أكثر الأوقات
 أشد منه ساعة الحاجات
 فيا أخي لا تستدن بضاعة
 لو أمهلوك لقيام الساعة

(١) إما أن يكون بمعنى طرأ عليك جوع . أو من العراء بمعنى الفضاء لا ستر فيه ، وحينئذ فالصواب (عُرِّي) كما في الصحاح .

(٨٣)

بحث في النعمة

إِنَّ وَلِيَّ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ
 مَبْتَعُ الرَّحْمَةِ ^(١) لِلْأَنْامِ
 قَدْ صَحَّ مِنْ خِصَالِهِ الْمَهْمَّةُ
 كَانَ مَعْظَمُ لِقْدَرِ النِّعْمَةِ
 حَتَّى وَلَوْ فِي نِعْمَةٍ صَغِيرَةٍ
 يَشْكُرُهَا كَالنِّعْمَةِ الْكَبِيرَةِ
 وَوَصَفُوا النِّعْمَةَ بِالشَّرُودِ،
 وَقَيَّدُهَا بِالشُّكْرِ لِلْمَعْبُودِ
 مَعْنَى الْحَدِيثِ: مَنْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ
 أَصْبَحَ وَاجِدًا لِقُوتِ يَوْمِهِ
 وَآمَنًا لَا خَائِفًا فِي سِرْبِهِ
 فَإِنَّهُ فِي نِعْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ ^(٢)

* * *

(١) في الأصل «وباعث» .

(٢) نص الحديث « من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » . أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه .

وَنِعَمُ الدُّنْيَا ثَلَاثٌ كَافِيَةٌ:

الْأَمْنُ، وَالْغِنَاءُ^(١)، ثُمَّ الْعَافِيَةُ

حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْكَ نِعْمَةٌ

فَلَا تَمَلَّهَا تَجِدَهَا نِقْمَةٌ

جَاءَ لِعِيسَى الْوَحْيُ فِي مَهْمَةٍ

قَالَ : إِذَا جَاءَتْكَ مَنِي نِعْمَةٌ

تَلَقَّهَا بِذَلَّةٍ وَمُسْكَنَةٍ

حَتَّى أَتَمَّهَا عَلَيْهِ مُتَقَنَةٌ

فُتُوَّةُ الْإِنْسَانِ: تَرُكُ الْمُنَّةِ،

إِظْهَارُهُ النِّعْمَةَ، كَتَمِ الْمَحْنَةَ

* * *

(١) أَيِ الْغِنَى خِذَا الْفَقْرِ . وَهُوَ مَنْ مَدَّ الْمَقْصُورَ لِحُضُورَةِ الشَّعْرِ .

(٨٤)

بحث

في المال

إِنَّ الَّذِي خَزَائِنُ اللَّطِيفِ
 مِفْتَاحُهَا فِي كَفِّهِ الشَّرِيفِ
 لَقَدْ أَتَتْ لَهُ الْجِبَالُ ذَهَبًا
 عَنْ نَفْسِهِ وَرَاوَدَتْهُ فَأَبَى
 مَا جَمَعَ الْمَالُ فَكَانَ تَاجِرًا
 بَلْ كَانَ عَبْدًا قَانِعًا وَشَاكِرًا
 مَا لَكَ لَا يَعْمُ كُلُّ الْعَالَمِ
 فَاخْصَصْهُ لِلْأَقْرَبِ ثُمَّ الْأَلْزَمِ
 مَنْ قَلَّ مَالُهُ فَقَدْ قَلَّ الْحَيَا
 مِنْهُ وَضَاقَتْ فِيهِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ
 حَسْبُكَ مِنْ وَصَائِفِ النُّقُودِ
 بِأَنَّهَا حَلَالَةٌ الْعُقُودِ
 وَاعْلَمْ بِأَنْ لَصِقَةَ الدَّرَاهِمِ
 إِلَى جُرُوحِ الدَّهْرِ كَالْمَرَاهِمِ

لا خير فيمن لا يداوي ذهابه
 حتى يصون دينه وحسبه
 في الفقر والغنى إليه دار
 ولو أتاكَ مثل نهر جار
 قال الحريري، وجلت خبرته
 لولا التوقي قلت: جلّت قدرته:

* * *

المال كالجنة في الزمان
 يُحمى به العرض عن العدوان
 إن الحبيب للورى ذا المال
 يُبغض إن صار فقير الحال^(١)
 للمال (قالوا) مدخلٌ عسيرٌ
 (نعم) إليه مخرج يسيرٌ
 كمثل حملٍ حجرٍ كبيرٍ
 لفوق رأس الجبل العسيرِ
 وصرفه كمثل ما تلقيه
 مدحرجاً للأرض من عاليه

(١) في الأصل « لكن يبغضه فقير الحال » .

(٨٥)

بحث

في الهدية

إِنَّ السَّخِيَّ ذَا الْيَدِ الْنَدِيَّةِ
 مِنْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ بِالْهَدِيَّةِ
 قَدْ صَحَّ فِي سُنَّتِهِ الْمَحْقَقَةُ
 يَرُدُّ مَا كَانَ أَتَى مِنْ صَدَقَةٍ
 لَكِنَّهُ كَانَ عَلَى السَّوِيِّهِ
 يَقْبَلُ مَا كَانَ لَهُ هَدِيَّةً^(١)
 وَفِي الْهَدَايَا السَّنَةُ الْمُبَارَكَةُ
 بَيْنَ الْأَحْبَابِ جُعِلَتْ مَشَارَكَةٌ^(٢)
 إِنْ الْهَدَايَا تَجْلِبُ الْغَضْبَانَا
 وَأَنْهَا تَسْتَعْطِفُ السُّلْطَانَا
 إِنَّ الْهَدَايَا فِي الْوَرَى كَرِيمَةٌ
 تُذْهَبُ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ سَخِيمَةٍ
 وَلِلْهَدَايَا فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعٌ
 تَقْدِيمُهَا لَدَى الرَّجَاءِ يَنْفَعُ

(١) يشير إلى حديث « كان يقبل الهدية ويثيب عليها » أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي .
 (٢) في الأصل « أن تكن » والمقصود بالمشاركة : أن من أهدي إليه شيء وعنده أصحاب يُشركهم فيها .

(٨٦)

بحث

في الخدم والمنزل

إِنَّ التَّهَامِيَّ حَلِيمَ الرَّحْمَا
 مِنْ كَانَ جَبْرِيلُ إِلَيْهِ خَادِمًا
 عَنْ أَنَسِ الْخَادِمِ عِنْدَ الْحَضْرَةِ
 قَالَ: خَدَمْتُهُ سَنِينَ عَشْرَةَ^(١)
 مَا قَالَ فِي شَيْءٍ: لَمْ فَعَلْتَهُ
 يَوْمًا، وَلَا قَالَ لَمْ تَرَكْتَهُ^(٢)
 يَقُولُ: لَوْ قُدِّرَ هَذَا كَانَا
 وَمَا رَأَاهُ أَحَدٌ غَضَبَانَا
 وَارَأَفَ بِنَا صَرَتْ عَلَيْهِ^(٣) سَيِّدَا
 حَتَّى وَلَوْ كَانَ غَلَامًا أَسْوَدًا
 أَطْعَمَهُمُ الْأَلَذَّ مِنْ نَفِيسٍ
 وَاكْسَهُمْ مِنْ أَحْسَنِ الْمَلْبُوسِ

(١) أخرجه الترمذي عن أبي العالية أن أنساً خدّمه ﷺ عشر سنين ودعا له ، شرح الزرقاني على المواهب - للقطلاني ٢٩٦/٣ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) في الأصل « إليه » .

مِنْ كَرَمِ الْإِنْسَانِ فِي طَبَاعِهِ
 الْخُلُقُ السَّيِّئُ فِي أَتْبَاعِهِ
 بَأْنَ تَرَى خُدَّامَهُ بَلَا أَدَبٍ
 مِنْ كَرَمِ الْخَلْقِ وَكَظْمٍ لِلْغَضَبِ
 قَالُوا: يَخُونُ الْعَبْدُ مَوْلَاهُ إِذَا
 مَا مَسَّهُ مِنْهُ قَنُوطٌ وَأَذَى
 نَعَمْ إِذَا مَا يَثْسُ الْإِنْسَانُ
 يَطُولُ مِنْهُ الْيَدُ وَاللِّسَانُ
 وَكُلَّ خَادِمٍ فَضَعَهُ فِي عَمَلٍ
 عَلَيْهِ آخِذُهُ^(١) بِهِ عِنْدَ الْخَلَلِ
 لِأَنَّهُ تَفْسُدُ حَالُ رَاحَتِكَ
 إِذَا تَوَاكَلُوا إِذَا فِي خِدْمَتِكَ
 قَالُوا: وَأَدَبُ الْفَتَى وَشَرُّهُ
 حِينَ يَكُونُ نَفْعُهُ وَضَرُّهُ
 حَيْثُ يَمِيلُ قَلْبُهُ لِلْخَادِمِ
 لَا مَقْتَضَى الشَّرْعِ وَرَأْيِ الْحَازِمِ

(١) فِي الْأَصْلِ « حَتَّى تَوَاطِئَهُ » .

وإن شَرَّ كلبا أتاكَ لاحقاً
يَدْعُ صاحباً إليه سابقاً
فاطرده، إنَّ ذاك لا يدوم لك
أيضاً كما فارق قبلاً سلفك

* * *

قالوا: ولا تسمَحْ بفوقِ اللازمِ
لولدٍ، وامرأةٍ، وخادمٍ
فإنما طاعتهم اليك
مقرونةٌ بحاجةٍ لديكِ
إياك والعيْدَ لا تُشْبِغْهم
وفيك بالإحسان لا تُطْمِغْهم
ابنك إن منعه يبغضك
كلُّك إن سمّته يعضك
جندك إن أغنيته لا ينفعك
كلبك إن أشبعته لا يتبعك
ومن ترى في فعله صداقة
لا تكرمّه بكل الطاقة

أخّر له شيئاً بحسب العادة
 يعطى له إذا اقتضى الزيادة
 وقولهم في شرط علم المنزل:
 أن لا يزيد الخرج فوق المدخل^(١)
 كل فتى في بيته سلطان
 ومنزل المرء له جنان
 من أشرك الغير تأذى خاطره
 وبيت الاثنين خراب آخره

* * *

ومن كلام الصاحب المكمل
 ترجمت ذا المعنى لعلم المنزل:
 علامة العاقل في معروفه
 مدخوله أكثر من مصروفه
 من يختصر منزله كالنحل
 معتدلاً في الخصب ثم المخل
 تصفو له حلاوة المعيشة
 يستخرج الشهد من الحشيشة

(١) أي الدخل . والخرج هو المصروف .

وقال افلاطون في الملامة:
لا تختَر الصديقَ للخدمةِ
إذ ليس فيه خيفة من هيبتك
فيجتري على الخطأ في خدمتك
وأنت قد تنجـل^(١) من تأديبه
يفسد المعاش من تحرييه
* * *

(١) في الأصل « تستحي » .

(٨٧)

بحث

في اللباس

إِنَّ جَمِيلَ حِلْيَةِ الْبَهَاءِ

وَصَاحِبِ الْإِزَارِ وَالرِّدَاءِ

فِي الشُّنَّةِ الْعَلِيَاءِ مَعْنَى مَا وَرَدَ

بأنه يلبس ما كان وجد^(١)

قَطْنًا وَصُوفًا وَكَذَا كَتَّانًا

وَالْغَالِبُ الْقُطْنُ كَذَا أَتَانَا

مِنْهُ الْقَمِيصُ وَالْإِزَارُ وَالرِّدَا

يَلْبَسُ ثَوْبًا أَيْضًا وَأَسْوَدًا

يَلْبَسُ (كَانَ) بَرْدَةً خَضِرَاءَ

حِينَ، وَحِينَ^(٢) حُلَّةً حَمْرَاءَ

يُخْصِ كُلُّ أَخْضَرٍ بُحْبُ

ثِيَابُهُ كَانَتْ لِفَوْقِ الْكَعْبِ

(١) فَضَّلَ الْقِسْطَلَانِي وَالزَّرْقَانِي صِفَةَ لِبَاسِهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ أُوْرِدَ « كَانَ يَلْبَسُ مَا وَجَدَهُ » (٣/٥) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « بَعْضًا وَبَعْضًا » .

يبدأ باليمين وقت اللبس
لثوبه، ونزعُه بالعكس
ويلبس العمامة السوداء
لكنها في الأكثر البيضاء
يجعل غالباً إليها عذبة
تقدس أخلاقه المهدبة
ويلبسُ الأحسن من ثيابه
(كان) إذا الوفد أتى ببابه
ويأمر الصَّحْبَ بلبس الزين
كذلك في الجمعة والعيدين^(١)
مَنْ نَظَّفَ الثوبَ يزولُ هُمُّهُ
أو طاب رُيحُه يزيدَ فهُمُّهُ
قيل: وكُلُّ ما تشتهيهِ نَفْسُكَ
والبس إذا ما يشتهيهِ جنسُكَ
قالوا: بأنَّ الناسَ باللباسِ
فحسَّن الثوبَ لأجلِ الناسِ
والبس لباساً لست فيه تُحتقرُ
بين الوري ولست فيه تُشتهرُ^(٢)

(١) أشار على ذلك القسطلاني والزرقاني عند الكلام عن لباسه صلى الله عليه وسلم (٥/ ١٨).

(٢) في القاموس: اشتهره فاشتهر، فيكون المبني للمجهول منه يُشتهر.

(٨٨)

بحث

في الطعام

إِنَّ الْكَرِيمَ سَيِّدَ الْأَنَامِ
 وَمَنْ لَهُ بورك فِي الطَّعَامِ
 مِنْ وَصفه يَأْكُل (كان) مَا وَجَدَ
 لَا مُتَكَلِّفًا إِلَى مَا قَدْ فَقِدَ
 يُعْظِمُ النِّعْمَةَ حَتَّى مَا احْتَقَرَ
 شَيْئًا وَمَا عَابَ طَعَامًا قَدْ حَضَرَ^(١)
 وَمَا اشْتَهَى مِنْ أَهْلِهِ وَلَا اقْتَرَحَ
 يَوْمًا طَعَامًا هَكَذَا عَنْهُ اتَّضَحَ
 وَكَانَ لَا يَأْكُلُ أَصْلًا وَحْدَهُ
 وَلَا الْغِذَا يَجْمَعُهُ وَضَدَّهُ
 مِنْ لَبَنٍ مَعَ سَمَكٍ طَرِيٍّ^(٢)
 وَاللَّحْمِ مِطْبُوخًا مَعَ الْمَشْوِيِّ
 وَكَانَ لَا يَمِيلُ لِلْأَلْوَانِ
 وَقَطَّ لَمْ يَأْكُلْ عَلَى خِوَانٍ

(١) يشير إلى حديث : ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط ان اشتهاه أكله وإلا تركه، وفي رواية كرهه تركه أخرجه

البخاري مسلم (اللؤلؤ والمرجان رقم ١٣٣٦) .

(٢) هذه من الخرافات، وقد زعموا أن ذلك يؤدي للجنون !

يؤمن بالتوالي عنه ما سُمع
 بأنّ من خبز الشعير قد شبع^(١)
 يأكل (كان) كل يوم مرة
 وهذه العادة مستمرة^(٢)
 وإن تعشى يترك الغداء
 وإن تغدّى يترك العشاء
 قال: وما من عمل مرفوع
 لله مثلُ عطشٍ وجوع
 رأسُ الدوا الحميةُ في الغداء
 وإنما المعدة بيتُ الداءِ
 قالوا: وشرط الأكل في الحقيقة
 عند أولي الحكمة والطريقة
 اجلس إذا ما جُعْتَ للطعام
 بشهوةٍ صادقةٍ الإقدام
 أيضاً وقم عنه وأنت تشتهي
 لا تشبعنَّ منه حتى تنتهي

(١) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما شبع آل محمد من خبز الشعير يؤمن متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ ، الشمايل للترمذي بشرح الباجوري (٩٨) .

(٢) عن عائشة أيضاً : « والله ما شبع (رسول الله) من خبز ولا لحم مرتين في يوم » (الشمايل للترمذي ١٠٠) .

وَقَلِّلِ الْأَكْلَ لِتَحْمِي صَحَّتِكَ
 وَأَطِلِ الْمَضْغَ وَصَغِّرِ لِقْمَتَكَ
 وَاسْتَعْمِلِ الْحِمِيَّةَ وَاخْشِ الْبَطْنَةَ
 فَإِنَّهَا تُذْهَبُ عَنْكَ الْفِطْنَةُ
 يَأْكُلُ كَيْ يَعْيشَ كُلُّ عَاقِلٍ،
 يَعْيشُ كَيْ يَأْكَلَ كُلُّ جَاهِلٍ
 وَالصَّبْرُ عَنْ^(١) تَرْكِكَ مَلَذُودَ الْغِذَا
 أَحْسَنُ مِنْ شَرْبِكَ مَكْرُوهَ الدَّوَا
 وَجَاءَ شَرْطُ الْجُوعِ فِي التَّعَلُّمِ
 أَنْ تَشْتَهِيَ الْخُبْزَ بَغَيْرِ الْأُذْمِ^(٢)
 الْجُوعُ لَيْسَ شَهْوَةً النَّفَاسِ
 بَلْ شَهْوَةُ الْخُبْزِ الشَّعِيرِ الْيَابِسِ
 مَتَى كَرِهْتَ أَكْلَ خُبْزٍ وَحْدَهُ
 الْجُوعُ لَيْسَ صَادِقًا فِي الْمَعْدَةِ
 أَوْ قُلْتَ: هَذَا يَابِسٌ وَذَا طَرِي
 أَوْ قُلْتَ: هَذَا جَيِّدٌ، وَذَا رَدِي

(١) فِي الْأَصْلِ « أَصْبِرْ عَلَى ».

(٢) الْأُذْمُ وَالْإِدَامُ، هُوَ مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ كَمَا فِي الصَّحَاحِ ١٨٥٩/٥

(٨٩)

بحث

في الحب والمحـبـوب

إن التِّهَامِيَّ حَبِيبَ رَبِّهِ
 مَنْ اجْتَبَاهُ رَبُّنَا لِحَبِّهِ
 كَانَ مُحِبًّا لِلَّوَرَى مُحِبُّوهُ
 كَانَ وَدُوداً رَاحِماً صَحُوباً
 مِنْ حُبِّهِ وَوُدِّهِ لِلْخَلْقِ
 قَدْ جَاءَ وَصَفُهُ بِهَذَا النِّظْرِ
 كَانَ يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَأْتِيهِ
 بِأَنَّهُ أَحَبُّ وَافِدِيهِ
 فَحُبُّهُ لِرَحْمَةٍ بَلَا مِرَا
 وَقُلْتُ فِي تَنْزِيهِهِ مُحْذِراً
 عَنْ نَسْخَةِ فِي شَأْنِهِ الْمُقَدَّسِ
 رَأَيْتُهَا لِلْعَالَمِ النَّابِلِسِيِّ^(١)

(١) لعله يقصد « غاية المطلوب في محبة المحبوب » ذيل كشف الظنون ١٤٢/٢ ولم يفصل مضمونها .

موضوعه في الحب والحبيب
 قُدَّسَ عن مقالها الغريب
 وإن تُؤوِّلْتُ لدى العظام
 لكنها تضرُّ بالعوام
 فقل لمن طالعها إذا غوى :
 جَلَّ أبو القاسم عن ميل الهوى
 حُبُّ للرسول من ديانا
 ثلاث حاجات كذا أتانا
 طيبٌ، ونسوةٌ مطهراتُ،
 وقرّةُ العين له الصلاة^(١)
 وحبنا لله والرسول
 هو امثال الأمر بالقبول
 فمن أحبَّ الله فليتبعه
 يُحِبُّه الله غداً يرفعه
 جاء : كما أحسنتَ ربي خلقي
 فأحسن اللهم مني خلقي

(١) حديث حُبِّ إلى من ديناكم ثلاث : النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة « له طرق عديدة
 بألفاظ مختلفة وذكروا ان لفظ (من ديناكم ثلاث) لم يرد لأن الصلاة ليست من الدنيا (كشف الخفاء
 . (٣٣٨ - ٣٤١) .

وقد سمعنا أنَّ إذهاب الحَزَنُ
 بالماء والخضرة والوجه الحسنُ
 لاشك أن رؤية المـلاحِ
 منعشة إلى قوى الأرواحِ
 من كان (جاء) وجهه دميماً
 كان إذاً ^(١) خُلِقَ دميماً
 حبُّك للشيء سيعمي ويصم
 من جاهدَ الحبَّ فذاك المعتصم
 وليست العصمة إلا في نبي
 قلت: كذا في ملك، وفي صبي
 الحسنُ نهَابٌ إلى القلوب
 أيضاً وستارٌ على العيوب
 الحسنُ للإنسان خيرٌ شافعِ
 وشافعٌ ليس له من دافعِ
 بالحسن ما خُصص إنسٌ وملك
 بل في جميع الحيوان مشترك

(١) في الأصل « أوشك أنَّ » وهذه المقولة غير صحيحة فكم من دميم الخلقة حسن الخلق ، والعكس .

وفي النباتات وفي الجمادِ
 يعين في^(١) ي تزايد الإمدادِ
 والعشقُ ضعفُ القلبِ والدماغِ
 وعلةٌ تأتي من الفراغِ
 قال ابن سينا: من سقوط الهمة
 وخلةٌ تستوجب المذمة
 أو أنه مزاج أنثوية
 يستوعب القلب على السوية
 وهاك من نصائح الدريه^(٢)
 ترجمت ما يليق في الحرية :
 « أن لا تعلق بديار قلبا
 ولا بمحسوب تقاسى حبا
 فالبحر والبر وسيع بلده
 وآدم فيها كثيرٌ ولده »
 * * *

(١) في الأصل « يزيد من » .

(٢) أي اللغة الفارسية القديمة .

(٩٠)

بحث

في الهوى

إن زكى النفس قَطُّ ما غوى
 في حُكمه وما استماله الهوى
 وقد نهانا نحن عن هوانا
 أخبر أن في الهوى هواناً
 وقال فيه : جاهدوا أهواءكم
 مثل مجاهدتكم^(١) أعداءكم
 ومن كلام ابن دريد النواضح
 جعلت هذا البيت في نصائحي
 «وآفة العقل الهوى فمن علا
 على هواه عقله فقد نجى»^(٢)
 قابلُ هواك دائماً بعقلك
 وغطَّ بالحلم قبيحَ فعلك

(١) في الأصل « كمثل ما تجاهدوا ».

(٢) من مقصورة ابن دريد

قالوا : إذا شككت في أمرين
ولست تدري أصوب الإثنين
فاعرضهما على هواك فالهوى
يغادر الصواب يستدعي الخطأ
اعص هواك وأطع من شئت
لا تأت بحرّه ولو ظمئت^(١)
وآخرُ النصح لمن قد أروعوي
إطاعةُ العقل وعصيانُ الهوى

* * *

(١) في الأصل « بحرّه » .

(٩١)

بحث

في النكاح والجماع

إن أبا القاسم ذا الفلاح
 ومن أتى بسنة النكاح
 قد جاء في سنته السنية
 أن ليس في الإسلام رهبانية
 رسولنا سنته التأهل
 عنه أتى: تناكحوا تناسلوا^(١)
 والنطف اختاروا لها النفيسة
 العرق في الطفل له دسيصة^(٢)
 يمزح مع نسائه ويلطف
 يقول يا صويجات يوسف
 وربنا أعطاه بالكمال
 قوة مائة من الرجال

(١) أخرجه عبد الرزاق والبيهقي مرسلًا . قال السخاوي في المقاصد : جاء معناه عن جماعة من الصحابة (كشف الخفاء ١/ ٣١٨) .

(٢) العرق دساس « أخرجه الديلمي والبيهقي » كشف الخفاء ٢/ ٥٩ .

أَكْثَرُ مَا يُلْقَى الْفَتَى إِلَى سَقَرٍ
الْأَجُوفَانِ، جَاءَ هَذَا فِي الْخَبَرِ ^(١)
وَجَاءَ مَعْنَى قَوْلِهِ : تَرَكَ الزَّوْنِي
يُورِثُ لِلْإِنْسَانِ عِزًّا وَغِنًى
إِنَّ النِّسَاءَ شَرُّ مَا فِيهِنَّ
رِضَاؤُهُنَّ فِي فِرَاجِهِنَّ
مَنْ ابْتَلَى بِصَحْبَةِ الْإِنَاثِ
فَلِيَحْتَرِزْ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ :
لَا يَرْكَنْ أَنْ يُذِيعَ السِّرَّ ،
لَا يَسْتَشِرْ ، وَلَا يَطِيعُ أَمْرًا ^(٢)
قَالُوا بَأَنَّ صَاحِبَ النِّكَاحِ
مَقْتَبَسٌ مِنْ جَذْوَةِ الْأَرْوَاحِ
وَأَنَّ ذَاكَ رُوحُهُ قَدْ تَشْتَعِلُ
فَلِيَكْثِرِ الْإِنْسَانُ مِنْهُ أَوْ يُقِلَّ
مَنْ أَقْلَلَ الْجَمَاعَ حِينَ شَهْوَتِهِ
دَامَ سَوَادُ رَأْسِهِ وَلَحِيَّتِهِ

(١) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ لَمَّا سُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّارَ قَالَ : الْأَجُوفَانِ الْفَمُ وَالْفَرْجُ .
(٢) هَذَا مُخَالَفٌ لِلْسُّنَّةِ ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَشِيرُ بَعْضَ نِسَائِهِ ، كَمَا اسْتَشَارَ أُمَ سَلَمَةَ فِي التَّحَلُّلِ مِنْ مَتْعَةٍ
الْحُجْجِ وَتَرَدَّدَ الصَّحَابَةُ فِي ذَلِكَ فَأَشَارَتْ عَلَيْهِ بِأَنْ يَتَحَلَّلَ بِأَنْ يَحْلُقَ أَمَامَهُمْ ، فَتَسَارَعُوا لِتَبَاعِهِ .

أَضَرُّ ما للشيخ مما قد خُلِقَ :
جاريةٌ حسنا، وطباخٌ حَذِقُ
إن أكثرَ الطعامِ أفنى بدنَه
أو أكثرَ الجماعِ خاطٌ^(١) كَفَنَه
فهاجرِ الجماعُ حُسْبُ القوةِ
إن استطعتِ كلَّ شهرٍ مرةً

* * *

(١) في الأصل « حضر » .

(٩٢)

بحث

في الشهوة

إِنَّ أَمَامَ الْأَنْفُسِ الْعَفِيفَةِ
 نَبِيْنَا ذَا الْعَصْمَةِ الشَّرِيفَةِ
 مِنْ وَصْفِهِ: كَانَ عَفِيفَ الذَّاتِ
 وَلَا يَمِيلُ قَطُّ لِلذَّاتِ
 مُجَاهِدٌ لِلنَّفْسِ عَنْ شَهَوَاتِهَا
 فِي أَكْثَرِ الْمُبَاحِ مِنْ لَذَاتِهَا
 يَغْضِي عَنْ اللَّذِيزِ بِاصْطِبَارِهِ
 وَيَحْمِلُ النَّفْسَ عَلَى الْمَكَارِهِ
 وَجَاءَ: لَا أَفْلَحَ عَبْدُ الشَّهْوَةِ
 فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْحَرَّ عَبْدُ النَّخْوَةِ^(١)
 نَعَمْ أَتَى مَعْنَى الْحَدِيثِ الْمَشْتَهَرِ
 إِذَا بُلِيتَ بِالْمَعَاصِي فَاسْتَتِرْ^(٢)

(١) يشير إلى حديث (تعس عبد الدينار ..) أخرجه البخاري الفتح الكبير ٣٢/٢ .

(٢) حديث « إذا بليتتم بالمعاصي فاستتروا » يستدل له بحديث البيهقي والحاكم فيمن أتى هذه القاذورات شيئا (كشف الخفاء ١/٨٤) .

فهب تسترّ عن الإبصار
 أهل عن الستار من ستار
 قالوا : وأقصر في جميع فعلك
 عن شهوة قد خالفت لعقلك
 إنّ الذي ملكُ يديه شهوته
 فإنه قد أشرّت مروءته
 قالوا : وإنّ الصبر عما يُشتهى
 أصعبُ للإنسان من نيل السُّهى^(١)
 لا عاقل من ليس في فرصته
 إليه رتبة على شهوته
 والفرق في الشهوة والأهواء
 أن الهوى يختص بالآراء
 وهذه تختص بالذات
 فهي اتباع للهوى بالذات
 لا خير في لذة نفس بعد ما
 تُعقب ذلاً للفتى أو ندماً

(١) في الأصل « الأذى » والسهى : كوكب خفي في (بنات نعش الكبرى) ، والناس يمتحنون به أبصارهم ،
 وفي المثل أريها السهى وتريني القمر (الصحاح ، للجوهري ٦ / ٢٣٨٦) .

وقال أفلاطون ذو النباهة:
 لا تركبن الأمر بالبداهة
 من غير أن تُصلح بين العقل
 وشهوة النفس بذاك الفعل
 بالعقل وحده فقد يُخشى الردى^(١)
 عليك، والنفس تؤدي للردى
 واتخذ اللذة حين الصبوة
 ممزوجة بالعقل ثم الشهوة
 وعنه أيضاً قد أتى في حكمته
 في فرق عقل المرء ثم شهوته:
 هذا يُملك الفتى الزمانا
 هذه له تُملك الإنسانا
 أقول هذا القول غير أني
 كنت، عفا الله تعالى عني
 للنفس عبداً، للهوى مطواعا
 في الشهوات شرهاً لوّاعا

(١) في الأصل « إلى » .

وكنت للشهوة في الرغاب
 أطوع من مطية الركاب^(١)
 وأذكرُ الجماعَ بالمحذور
 مع أننى انكحُ من عُصفورٍ
 والقصد في الإقرار بالمعائب
 هنا وفي الغير من المطالبِ
 دفعاً عن العجب وتركاً للريا
 ومن قبيل الاعتراف بالخطأ
 * * *

(١) المقصود ، ركاب المطية ، وهو الحديدية التي توضع عليها القدم لركوب الخيل .

(٩٣)

بحث

في الطب

إِنَّ الَّذِي حَدِيثُهُ شِفَاءُ
 لِكُلِّ دَاءٍ نَطَقَهُ دَوَاءُ
 كَانَ يِرَاعِي الطَّبَّ وَالتَّطَبُّبَا
 كَانَ يَحِبُّ الطَّيِّبَ وَالتَّطْيِيَا
 وَبِالطَّبِيعِيِّ لَقَدْ تَدَاوَى
 وَبِالْإِلَهِيِّ كَذَلِكَ دَاوَى
 وَاسْتَعْمَلَ الْأَدْوِيَةَ الْمُرَكَّبَةَ
 كَذَلِكَ الْمَفْرَدَةَ الْمُنْتَخَبَةَ
 وَفِي التَّدَاوِي جَاءَ عَنْ فَخْرِ الْبَشَرِ
 مُحَقَّقًا أَنَّ الدَّوَا مِنْ الْقَدَرِ
 قَالَ: تَدَاوُوا إِنْ أَتَاكُمْ دَاءُ
 فَكُلِّ دَاءٍ وَلَهُ دَوَاءُ
 وَالْكَيْ فِي الْأَمْرَاضِ كُلِّهَا شِفَا
 لِقَوْلِهِمْ: النَّارُ يَا مُوسَى دَوَا

قالوا: وان قَدُمْتَ يوماً أرضاً
 وكان في مثلك ناسٌ مرضى
 فاجعل تراها إذاً في مائها
 فأنت في الأمانِ من وبائها
 ومن يكن ملازماً للقصدِ
 فليس يحتاج إذاً للفصدِ
 أكلُ القليل من مُضِرٍّ قاطعِ
 احسنُ من أكلِ الكثير النافعِ
 كلُّ كثيرٍ قاهرٌ للطبعِ
 والاعتدالُ فيه كلُّ النفعِ

* * *

من يعترضُ عند المنام للخلا
 دام على صورته حسن البها
 وبارد الماء لدى الحمّام
 ينفع بالوجه وبالأقدام
 أكثركم مضمضةً على صغر
 احفظكم لضرسه على كبر

في خمسة تَوَقَّ شُرْبُ الْمَاءِ

فإنها جالبة للداء :

من بعد إعياء^(١)، (كذا) الطعام،

والنوم ، والجوع ، والحَمَامِ

* * *

(١) في الأصل « كذا » والعطف يجعل « من بعد » مراعي في البقية بدلا من أن تصبح « كذا الطعام » جملة ولا يلحظ معنى البعدية .

(٩٤)

بحث

في العادة

إِنَّ الصَّفِيَّ كَامِلَ الصِّفَاتِ
 وَمَنْ أَتَى بِأَفْخَرِ الْعَادَاتِ
 عَادَتُهُ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ
 كَأَنَّهَا خُلَاصَةُ الْقُرْآنِ
 الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ مِنْ عَادَاتِهِ
 وَالظُّلْمُ وَالْفُجُورُ مِنْ عِدَاتِهِ
 عَادَتُهُ جَلِيلَةُ الْفَوَائِدِ
 قَدْ أَصْلَحَتْ مَفَاسِدَ الْعَوَائِدِ
 وَالْكَلُّ مِنْ عَادَاتِهِ الْبَهْيَّةِ
 يُعْلَمُ مِنْ سُنَّتِهِ السَّنِيَّةِ
 قَالُوا : وَكُلُّ خُلُقٍ إِنْ عُمِدَ
 طَبِيعَةً خَامِسَةً الْجَسَدِ^(١)

(١) في الأصل « وكل خلق معهود » طبيعة خامسة الجسود .

أَعْطُوا لِكُلِّ جَسَدٍ مَا اعْتَادَهُ
 لِلنَّفْسِ كَالطَّبَاعِ قَهْرَ الْعَادَةِ
 فَالْشَيْءُ مَنْ عَوَّدَهُ مَرَارًا
 فِي السِّرِّ قَدْ يَفْضَحُهُ جَهَارًا
 قَدْ قِيلَ فِيمَا قِيلَ: خَالَفَ تُعْرِفُ
 فَاخْرَجَ عَنِ الْعَادَةِ فِي الْمُسْتَظَرَفِ

* * *

قَالُوا بِأَنَّ قُوَّةَ الرِّضَاعِ
 مُوجِبَةٌ تَغَيِّرُ الطَّبَاعَ
 لَيْسَ بِرَاجِعٍ فَتًى عَنْ طَبْعِهِ
 حَتَّى يُرَدَّ الدَّرَّ^(١) نَحْوَ ضَرْعِهِ

* * *

وَقَالَ أَفَلَاطُونُ ذُو الدَّرَايَةِ:
 الطَّبَعُ قَدْ يَشْتَدُّ فِي النِّهَايَةِ
 لَكِنْ تَصْنَعُ النُّفُوسُ الزَّائِلِ
 أَشَدَّ مَا يَكُونُ فِي الْأَوَائِلِ

(١) الدَّرَّ : الحليب .

الطبع (قالوا) غلبَ التطبُّعا
 فغادر التقليدَ والتَّصنُّعا
 طبع الفتى في خيره وشرِّه
 أسرع من ماءٍ إلى مقرِّه
 وبعضهم آذن بالتصنُّعِ
 لقولهم: الطبع بالتطبُّعِ
 وقولهم: الحلم بالتحلُّمِ
 وقولهم: العلم بالتعلُّمِ
 تغير الأخلاق والخصالِ
 ممكنةٌ في مذهب الغزالي
 بأن تُراضَ النفس بالمجاهدة
 بالضد في كل الطباع الفاسدة
 فتلزم الإمساك^(١) للمبذرة
 وكثرة الإنفاق للمقترة
 حتى تراها حسنت^(٢) خصاها
 وقام في الأوسط اعتدالها

(١) في الأصل « الإلزام » .

(٢) في الأصل « حتى تكن قد حسنت » .

(٩٥)

بحث

في الزيارة

إِنَّ الْبَشِيرَ صَاحِبَ الْبَشَارَةِ
 قَدْ كَانَ مِنْ سِتِّهِ الزِّيَارَةِ
 كَانَ يَجِيبُ دَعْوَةَ لِلدَّاعِي
 حَتَّى وَلَوْ يُدْعَى إِلَى كِرَاعٍ^(١)
 وَعَنْهُ: قَدْ كَانَ يَعُودُ الْمَرْضَى
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ حَتَّى يَرْضَى
 مَعْنَى الْحَدِيثِ قَدْ أَتَى: زُرْ غُبَاً،
 مَنْ زَارَ غِبَاً (جَاءَ) يَزِدُّ حَبَاً
 قَالَ الْحَكِيمُ: كَثْرَةُ التَّعَاهِدِ
 بَيْنَ الْأَحْبَاءِ سَبَبُ التَّبَاعُدِ
 وَغَيْرِهِ قَدْ قَالَ: إِدْمَانُ اللَّقَا
 إِلَى الْأَخْلَاءِ مِنْ أَسْبَابِ الْجَفَا

(١) يشير إلى حديث لو أهدي إلى ذراع لقبلت، ولو دعيت إلى كراع لأجبت (أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في المسند ٤٢٤/٢).

والشمسُ لولا كل يوم تطلعُ
لكانت الناس إليها تركعُ
ويُهجِر الهلال كلما وفا
لكنه يُرقب كلما اختفى
ويُسأم الغيثُ على الدوامِ
وبالدعاء يُطلب في الإحجام^(١)

* * *

(١) أي بدعاء الاستصحاء، وصلاة الاستشفاء. وذلك عند تتابع المطر بشكل ضارّ.

(٩٦)

بحث

في التجارة

إِنَّ شَفِيعَ الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْجَزَا
 تاجر هَاجِرٍ وَحَجٍّ وَغَزَا
 وَقَالَ فِي أَصْحَابِهِ: وَهَاجِرُوا
 وَقَالَ: حَجُّوا تَغْنَمُوا وَسَافِرُوا^(١)
 وَسَارَ فِي مَالٍ إِلَى خَدِيجَةٍ
 لَا طَمَعًا لِلرِّبْحِ وَالتَّيْجَةِ
 بَلْ مِثْلَ سِيرِهِ إِلَى ثَقِيفٍ
 وَقَصْدَهُ طَيْبَةٌ بِالتَّشْرِيفِ
 جَمِيعُهَا لِحِكْمَةٍ دَقِيقَةٍ
 وَاضِحَةٍ عِنْدَ أُولَى الْحَقِيقَةِ
 عَلَيْكَ بِالْهَجْرَةِ وَالْأَسْفَارِ
 وَالْغَزَوَاتِ سَنَةِ الْمُخْتَارِ

(١) يشير إلى حديث حجوا تستغنوا وسافروا تصحوا أخرجه عبد الرزق (الفتح الكبير ٢ / ٧٠) .

وجاء في التوراة: جدد سفرا
دوماً^(١) أُجَدِّدْ لَكَ رِزْقًا آخِرًا
والماء إن طال بأرض مُكثُهُ
لا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ يَوْمًا خُبْثُهُ

* * *

(١) في الأصل « حتى » .

(٩٧)

بحث

في الحرب

وإنَّ سيفَ الله خيرَ حاكمٍ
 ذا العز والقوة^(١) والملاحمِ
 قد جاءنا بالسيف والكتابِ
 برحمةٍ جاء، وبالعذابِ
 نعم أتى للمسلمين نعمة
 كما أتى للمشركين نقمة
 وكان في الحرب له بسالة
 تحمّر عيناه من الجلالة
 في أحدٍ بعضُ الفئات فلت^(٢)
 عنه ومن جهد البلاء ولّت
 وهو كمثل الصخر في قفاهم
 يدعوهم للحرب في أخراهم

(١) في الأصل « البطش » .

(٢) في الأصل « في احد والمسلمون قلت » .

جاؤوه بالجرأة في ثباته
 وانتصروا من بركات ذاته
 وعنه جاء: الحرب بالمخادعة
 وليس كل الحرب بالمصارعة^(١)
 قد قال أهل العقل: رُبَّ حيلة
 أنفع للإنسان من قبيلة
 وكل فكر صائب معقول
 أمضى (نعم) من باتر مصقول
 إذا العدو للفرار ولى
 فافرش له الديباج فهو أولى
 فكثرة الطرد وضيق الحال
 تشجع النذل على القتال
 وأضعف الحيلة نعم العُدَّة
 خيرٌ إلى المرء من اقوي شدة
 إنَّ الدوا آخره بالكِي
 وهكذا القتال بعد العِي
 تسع وتسعون له من الحِيل
 والمائة القتال، قيل في المثل

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما (الفتح الكبير ٧٩/٢) .

(٩٨)

بحث

في العداوة

إِنَّ رَوْفَ القلب والوفاء
 مُنَزَّةُ الصدر عن البغضاء
 قد كان من كمال حلم ذاته
 يُسرع^(١) بالخير إلى عِدائِهِ
 عن أنس الخادم: مهما تستطع
 إن كنت لي في سنتي بالمتبع
 أصبح وأمس خالياً من الحسد
 وليس في قلبك بغض لأحد
 فستتي هذى وأهل السُّنة
 هم رفقائي في غدٍ للجنة
 جاء: وشرط خلة المكارم
 أن لا تخاصم ثم لا تخاصم

(١) في الأصل « يستدع » .

جاء: احذروا من الذي تبغضُهُ
 قلوبكم ونفُسكم ترفضُهُ
 وأكثر العثار والشقاوة
 (قالوا) من استصغارك للعداوة
 ألف صديق ما له تأثيرُ
 نعم عدوٌ واحدٌ كثيرُ
 ولا تُعادُوا دولة الإقبالِ
 يُدبِرُكم إقبالُها في الحالِ
 قيل: ومن عادى مُعاناً في الورى
 تخاله عاد مُهاناً لـوِرا
 إِنَّ العِدا أوهنُهم أضرارا
 أكثرهم لبغضه إظهارا
 لكن برئ العاقل في العداوة
 وكتمه للكيد بالغباوة
 وهو يُرى من دم الأعادي
 وغيره ملوَّث الأيادي
 قالوا: وإن عاديتَ شخصاً فاخترُ
 ما فعله مع الإله فاعتبرُ

إن كان محسناً فلا يُسلمهُ
 إليك مولاه ولا يظلمهُ
 وإن تكن سيئةً أعمالهُ
 أوشك أن يكفيكَ وبأله
 قالوا: وإن أخذت بالمكافحة
 مع العدو فاحذرِ المقابحة
 والغضبِ الداعى تأدّب عنه
 فإنه أعدى إليك منه
 قالوا : وكل زارع للأحسن
 غدا تراه حاصداً للحسن
 قد يُقهر الحسودُ والمعادي
 بالسيرة العادلةِ الأيادي
 يتتصف الإنسانُ من عِدائِهِ
 أن زاد فضلاً وعلاً^(١) في ذاته
 وقد أتى: كلُّ عدوّ عاقلٍ
 أحسنُ من كلِّ صديقٍ جاهلٍ
 نهاية الكمالِ إكرامُ العدا
 من حيث أن لا يشعروا منك الندا

(١) في الأصل « وفقاً ».

(٩٩)

بحث

في التوبة والاستغفار

إِنَّ نَبِيَّ التَّوْبَةِ التَّهَامِيَّ
 كَهَفَ الْعَصَاةَ شَافِعَ^(١) الْأَثَامَ
 وَطَالَبَ الْغُفْرَانَ لِلْجَمِيعِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ شَفِيعٍ
 قَدْ كَانَ مِائَةً عَلَى التَّكْرَارِ
 يَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَنَ فِي النَّهَارِ
 وَتَائِبٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ عَمِلَهُ
 (جاء) بِأَنَّهُ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
 فَاَنْدَمَ لَذَنْبِ نَفْسِكَ الْأُمَّارَةَ
 نَدَامَةُ الذَّنْبِ لَهُ كَفَّارَةُ
 تَوَخَّرَ التَّوْبَةَ مِنْ طَوْلِ الْأَمَلِ
 وَتَرْتَجِي آخِرَةً بَلَا عَمَلِ

(١) في الأصل « ما حي » .

ومن على الذنب يكن مُصْرّاً
 بنفسه يكن غدا مُضْراً
 ولا صغيرةً مع الإصرار
 ولا كبيرةً مع استغفار
 أخشى على المحسنِ والتقِيّ
 وأرتجي للمذنب الشقيّ
 وضاحكٍ أخِي اعتراف^(١) مذنبٍ
 أحسنُ من باكٍ مدلٍ مُعْجَبٍ
 سبعون ذنباً غُفرت للجاهلِ
 من قبل أن يُغفر ذنبُ العاقلِ

* * *

(١) في الأصل « وذو اعتراف » .

(١٠٠)

بحث

في الدعاء

إِنَّ الذي دعاؤنا عند الصمد
 بين الصلاتين عليه لا يُرَد
 يُكثر (قد كان) من الدعاءِ
 في حالة السَّراءِ والضَّرَّاءِ
 وعن عليٍّ: يومَ بدرٍ الكبرى
 ما زال يدعو الله فينا جهراً
 ياربَّ نصرِكَ الذي وعدتني
 يقول وهو بالدعاءِ معتنٍ
 حتى رأينا سَقَطَ الرداءِ
 عنه، وحالاً ولَّت الأعداءِ

* * *

أكثرُ من الدعاءِ والإنابةِ
 إنك لا تدري متى الإجابة

وفي حديث استقرت صحته
فيمن رجاءاً^(١) تستجاب دعوته
فليكشفن كربة الملهوف
حثاً على صنائع المعروف
ليس جديراً لقبول الله
دعاءً من يدعو بقلب لاه
اغتنموا الدعاء عند الرقة
وشرطه الحضور ثم الدقة
حلاوة الدعاء في الإنابة
قد قيل من علائم الإجابة
عليكم (قد قال) بالدعاء
فإنه الدافع للبلاء
ونفعه عند النبي المرسل
لمنزل أيضاً وغير منزل
ولح في الصباح وفي العشاء
لحبه الملح في الدعاء

(١) في الأصل « فيمن احب » .

ودعوةُ المظلوم مستجابة
 وهي كأسهم القضا إصابة
 لا دافعاً يردّها لا مانعاً
 تترك دار^(١) من بغى بلاعماً
 وإنها أمضى من الحناجرِ
 - أعاذنا الرحمن - بالحناجرِ
 ترك الدعاء (قيل) في الآباءِ
 يُضيقُّ العيش على الأبناءِ
 قد قال افلاطون في ذا البحثِ
 وللدعاء آمراً بالحثِّ
 وكل ما يفعله الإنسانُ
 ففي السماءِ فله اقترانُ
 يزيد في اعتماده وينقص
 وتارة يغلو وطوراً يرخصُ
 فما التمسّته من الآمالِ
 فأبدأ الى ربك بابتهاالِ

(١) في الأصل « تذر ديار » .

لأنه يبصر من أحوالك
 ما لا يراه الغير من أمثالك
 وقصده أنجح للمقصود
 والحكم، لا للعبد، للمعبود
 وقال: إن شئت لضرّ قد فجا^(١)
 فقم (إلى) العالمِ نعم الملتجى
 قم وابتهل إليه بالدعاء
 والصدق والإلحاح والبكاء
 كواله ليس إليه - معدل
 في أمره عمّن إليه يسأل
 فعنك انحسامه في المسألة
 يكون في مقدار إخلاصك له

* * *

(١) في الأصل « الضر فاجا » . وفي (فجا) تسهيل للهمزة وأصله (فجا) .

خاتمة

صلاتنا في البدء والختم
على التهامي مع السلام
حث على حسن الختام اللازم
في «إنما الأعمال بالخواتم»^(١)
وهذه منظومتي الفريدة
وهي طباع الأنفس السعيدة
يا حبذا قد أشرقت سماؤها
ونور ذكر المصطفى ضياؤها
فيا لها منظومة غراء
قد شرفتها السنة العليا
منظومة منشؤها النبوة
فيا لها نموذج الفتوة
وكلها جواهر منقودة
كأنها دراهم معدودة

(١) يشير إلى الحديث « وإنما الأعمال بالخواتم » أخرجه البخاري والترمذي وأحمد في المسند ٢٢٥/٥ .

مملوءةٌ من حِكمِ الفوائدِ
 عاريةٌ عن كل حشو زائدِ
 وحسبها إلى العقول رابطة
 إلى مقادير الحدود ضابطة
 وتعصم العقل عن التفريط
 وتردع النفس عن التغليط
 والقصدُ من تحرير ذي النَمِيقَةِ^(١)
 النصح للنفس وللخليفة
 جعلتها مرجزة العبارة
 ويكتفي العاقلُ بالإشارة
 وإن ظفرت بقصورٍ فيها
 فكن حليماً لا تكن سفيها
 لأنني نظمتها مأیوساً
 وكنت في جزيرة محبوساً
 بُليتُ بالنفي وبالإقامة
 في (رودس)^(٢) المشهورة الشامةِ

(١) أي المنمقة : المكتوبة بإتقان .

(٢) رودس إحدى الجزر القريبة إلى (قبرص) وكانت من أراضي الدولة العثمانية .

فحين ختمها بعون الباقي
 أدركني الرسولُ بالإطلاق
 عَلِمْتُهَا من هذه المداركةُ
 بأنها منظومة مباركةُ
 جعلتها لله مني توبة
 ومِلْتُ للحق وعُدْتُ صوبه
 «ومن يكن في الأربعين سنُّه
 إن لم يتب لله ساء ظنُّه»

* * *

دعاء الخاتمة

نسألك اللهم يا من في الأزل
 قد خطّ ما يصدر منّا من عمل
 بالخير بالشر فكل من نطق
 فنطقه في غامض العلم سبق
 كمثّل ماقدّرت في الآزال
 عليّ بالنطق بذا المقال
 ومثّل ما ألقيت في فؤادي
 شوقاً لأخلاق الرسول الهادي
 وفقني يامولاي لاتّباعه
 وطبّع القلب على طباعه
 واهد إلى سنته جناني
 كما بها أنطقت لي لساني
 كما هديتني لأهدى النية
 فأعطني الثبات في الأمانة
 حتى أكون مثل اسمي (فاضلاً)^(١)
 وكي أكون بمقالي عاملاً

(١) هو لقبه.

يا رَبَّنَا ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾^(١)
 فَإِنْ هَدَيْتَنَا فَتَلْكَ مِثَّتُكَ
 مِنَّا الدُّعَا وَالْحَمْدُ وَالْإِنَابَةُ
 وَمِنْكَ يَا سَيِّدَنَا الْإِجَابَةُ
 جَنَّاتِكَ وَالْحَبِيبُ ذُو الْفَضِيلَةِ
 قَدْ اتَّخَذْنَا هَدْيَهُ وَسِيلَةَ
 أَدْرَكْنِي يَا رَبِّ وَكُلَّ أُمَّتِهِ
 بِمَدَدٍ نَسْمُو بِرُوحَانِيَّتِهِ^(٢)
 نَسْأَلُكَ النِّجَاةَ فِي الدَّارَيْنِ
 طُرّاً بِهَدْيِ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ
 عَلَيْهِ مِنَّا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الثَّقَاتِ

* * *

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٥

(٢) في الأصل « بمدد من نور روحانية ».

تاريخ نظمها

قد آن أن نختم ذي المقالة
خوفاً من الإطنا ب والملا لة
وها كها^(١) (خريدة) أرختها
كدرّة بالمسك قد ختمتها
يا ربنا لرفعة^(٢) الرسول
تجعلها في عين القبول

* * *

(١) أي خذها، وفي الأصل « وها أنا » .

(٢) في الأصل « بحرمة » .

تاريخ تبييضها

وكان في تبييضها ابتلائي
 حيث غدت عيناى^(١) في الظلماء
 من علّةٍ قد أورثني قلقا
 وغادرتُ نهارَ عيني غسقا
 مُذْ أنزلتُ بناظريّ ضُرا
 وقاكم الله تعالى الشّرا
 لا أبصر الخطوطَ في الكتابِ
 حتى استعنت البعضَ من أصحابي
 تبييضها في (سافر) المقرّحه
 ونظّمها في (رودس) المقرّحه
 وكان قد تم لنا تنسيخها
 في سنة (واضحة)^(٢) تاريخها
 وختمها في ليلة المعراج
 بشارّةُ القبول للمناجي

(١) في الأصل « وكانتا عيناى » .

(٢) أي سنة ١٢١٥ وهذا التاريخ من حساب الجمل

فنسأل الله الذي منه الشِّفا
جلاء عينيّ كنور^(١) المصطفى
حاشا بأن افقد نورَ الباصرة
وخدمتي مدح شفيح الآخرة
صلى عليه الله كلَّ آنٍ
ما تاب واستغفر كلَّ جانٍ
عليه منا أفضل السلام
وآله وصحبه الكرام

* * *

(١) في الأصل « بنور » والتعديل للخروج من الخلاف .

(الفهارس)

الفهرس التحليلي (الألفبائي)

الفهرس الموضوعي

كشف الموضوعات (الألفبائي)

(العنوان ، ورقم البحث المتسلسل)

رقم البحث	(أ)
١٧	إتقان الأمور
٣٣	الإحسان والبر
١٤	الاحتراس والحزم
٣٩	الإخلاص
٧٨	الإدبار والإقبال
٤٩	الأسباب والسعي
٩٩	الاستغفار والتوبة
٧٥	الاستقامة
٣١	الإسراف
٠٦	الاعتدال
٧٨	الإقبال والإدبار
٤٧	الإقدام
٧٩	الأمانة والخيانة
٧٩	الألفة
٤٨	الإهمال والتواني

(ب)

٢٩	البخل
٣٢	البر والإحسان
٢٤	البشاشة

(ت)

٩٦	التجارة
١٣	التدبير والرأي
٤٤	التسلي
٠٢	التشبه بالهدي
٣٨	التغافل
١١	التقوى
٦٨	التواضع
٩٩	التوبة والاستغفار
٤٥	التوكل
٤٨	التواني والإهمال

(ج)

٩١	الجماع
١٥	الجهل والحمق

(ح)

٨٩	الحب والمحبوب
٩٧	الحرب
٤٢	الحرص والقناعة
١٤	الحزم والاحتباس
٦٧	الحسد
٢٢	حسن الأخلاق
٢٦	الحلم
١٥	الحمق والجهل

الحلية الشريفة ٠٣

الحياء ٣٧

(خ)

الخدم والمنزل ٨٦

الخيانة والأمانة ٧٩

الخير ١٨

(د)

الدعاء ١٠٠

الدعاء للسلطان ٠١

الدنيا ٧٦

الدولة ٧٧

الدين ٨٢

(ر)

الرأي والتدبير ١٣

الرحمة ٣٥

الرياء ٤٠

(ز)

الزيارة ٩٥

(س)

سوء الأخلاق ٢٣

السخاء ٢٨

السعي والأسباب ٤٦

(ش)

الشجاعة	٥١
الشر	١٩
الشكر	٤١
الشهوة	٩٢

(ص)

الصبر	٤٣
الصدق والكذب	٢٥
الصدقة	٣٢
الصديق والصدقة	٦٦
الصلة	٦٤
الصمت	٥٦

(ط)

الطب	٩٣
الطريقة والسلوك	٠٨
الطعام	٨٨

(ظ)

الظلم والعدل	٩٣
الظن	١٦

(ع)

العادة	٩٤
العبرة	٥٤
العجلة	٤١

٦٥	العدل والظلم
٥٢	العز والشهامة
١٠	العلم الشريف
٣٤	العفو
١٥	العقل
٦٢	العهد

(غ)

٦٦	الغرور والكبر
٢٧	الغضب
٢٧	الغني
٥٧	الغيبة

(ف)

٥٠	الفرصة
٨١	الفقر

(ق)

١٢	القضاء والقدر
٠٧	القلب
٤٢	القناعة والحرص
٠٤	القيامة

(ك)

٦٦	الكبر والغرور
٥٦	كتمان السر
٢٥	الكذب والصدق
٢٠	كرم الطباع

(ل)

٢١	لؤم الطباع
٨٧	اللباس

(م)

٨٤	المال
٨٩	المحبوب والحب
٣٦	المروءة
٦١	المزاح
٧٢	المشورة
٧٩	المكافأة
٨٦	المنزل والخدم

(ن)

٧١	الناس
٧٣	النصيحة
٨٣	النعمة
٥٨	النفاق
٩٠	النفس
٩١	النكاح والجماع

(هـ)

٨٥	الهدية
٢٣	الهم
٩٠	الهوى

(و)

٦٣	الوعد
٦٠	الوفاء

الفهرس الموضوعي

رقم البحث	العنوان	رقم الصفحة
	مقدمة التحقيق	٥
	البداية	١٨
	المقدمة	٢٠
١	الدعاء للسلطان	٢٧
٢	التشبه بهدي الرسول (ﷺ)	٣٠
٣	فضل الحلية الشريفة	٣٥
٤	علم القيافة على رأي العلماء والحكماء	٤١
٥	العقل وفضله وماهيته	٥٨
٦	الاعتدال	٦٧
٧	القلب	٧٠
٨	الطريقة والسلوك	٧٣
٩	النفس	٧٨
١٠	العلم الشريف	٨٢
١١	التقوى	٨٥
١٢	القضاء والقدر	٨٩
١٣	الرأي والتدبير	٩٣
١٤	الحزم والاحتباس	٩٧
١٥	الجهل والحمق	١٠١
١٦	الظن	١٠٦

١٧	اتقان الأمور	١٠٨
١٨	الخير	١١٤
١٩	الشر	١١٦
٢٠	كرم الطباع	١١٨
٢١	لؤم الطباع	١٢١
٢٢	حسن الأخلاق	١٢٤
٢٣	سوء الأخلاق	١٢٧
٢٤	البشاشة	١٣٠
٢٥	المداواة	١٣٢
٢٦	الحلم	١٣٤
٢٧	الغضب	١٣٦
٢٨	السخاء	١٣٩
٢٩	البخل	١٤٣
٣٠	الاقتصاد	١٤٥
٣١	الإسراف	١٥١
٣٢	الصدقة	١٥٤
٣٣	البر والإحسان	١٥٧
٣٤	العفو	١٥٩
٣٥	الرحمة	١٦٢
٣٦	المروءة	١٦٤
٣٧	الحياء	١٦٦
٣٨	التغافل	١٦٨
٣٩	الإخلاص	١٦٩

٤٠	الرياء	١٧١
٤١	الشكر	١٧٣
٤٢	الحرص والقناعة	١٧٥
٤٣	الصبر	١٧٩
٤٤	التسلّي	١٨٢
٤٥	التوكل	١٨٤
٤٦	السعي والأسباب	١٨٧
٤٧	الإقدام	١٩٠
٤٨	الإهمال والتواني	١٩٢
٤٩	العجلة	١٩٤
٥٠	الفرصة	١٩٦
٥١	الشجاعة	١٩٨
٥٢	العز والشهامة	٢٠٠
٥٣	الهمة	٢٠٢
٥٤	العبرة	٢٠٤
٥٥	الصدق والكذب	٢٠٦
٥٦	الصمت	٢٠٨
٥٧	الغيبة	٢١١
٥٨	النفاق	٢١٣
٥٩	كتمان السر	٢١٥
٦٠	الوقار	٢١٧
٦١	المزاح	٢١٩
٦٢	العهد	٢٢١

٢٢٢	الوعد	٦٣
٢٢٤	الصلة	٦٤
٢٢٦	العدل والظلم	٦٥
٢٢٩	الكبر والغرور	٦٦
٢٣٣	الحسد	٦٧
٢٣٥	التواضع	٦٨
٢٣٧	الصديق والصدّاقة	٦٩
٢٤٠	معاملات الالفه	٧٠
٢٤٤	الناس	٧١
٢٤٧	المشورة	٧٢
٢٤٩	النصيحة	٧٣
٢٥٣	الأمانة والخيانة	٧٤
٢٥٥	الاستقامة	٧٥
٢٥٦	الدنيا	٧٦
٢٦٠	الدولة	٧٧
٢٦٣	الإقبال والادبار	٧٨
٢٦٨	المكافأة	٧٩
٢٧١	الغنى	٨٠
٢٧٢	الفقر	٨١
٢٧٤	الدين	٨٢
٢٧٦	النعمه	٨٣
٢٧٨	المال	٨٤
٢٨٠	الهديه	٨٥

٨٦	الخدم والمنزل	٢٨١
٨٧	اللباس	٢٨٦
٨٨	الطعام	٢٨٨
٨٩	الحب والمحجوب	٢٩١
٩٠	الهوى	٢٩٥
٩١	النكاح والجماع	٢٩٧
٩٢	الشهوة	٣٠٠
٩٣	الطب	٣٠٤
٩٤	العادة	٣٠٧
٩٥	الزيارة	٣١٠
٩٦	التجارة	٣١٢
٩٧	الحرب	٣١٤
٩٨	العداوة	٣١٦
٩٩	التوبة والاستغفار	٣١٩
١٠٠	الدعاء	٣٢١
	خاتمة	٣٢٥
	دعاء الخاتمة	٣٢٨
	تاريخ إنشاء المنظومة	٣٣٠
	تاريخ تبليغ المنظومة	٣٣١
	الفهرس التحليلي	٣٣٣
	الفهرس الموضوعي	٣٤٠